

١٤٧٤٤

٩٨٢٥٢

١٩٩٧/٥/١٩

رواية التجسد

تأليف

صاحب مجلة صهيون بمصر

طُبعت منها ٥٠٠٠٠ آلاف نسخة على نفقة

مرفس جرجس

حقوق الطبع محفوظة

للمتزم طبعها ونشرها مرفس جرجس

صاحب المكتبة الجديدة ومطبعها بشارع كلوت بك عمرة ٥٥ بمصر

مطبعة القاهرة — باول شارع بين الحارات عمرة ٧٤ بمصر

ولكن لنا الغنى عنه بمتى ومرقس ولوقا ويوحنا الذين عاصروا
مجيء المسيح وشاهدوا بالعيان لا بالسمع مارافق مجيئه من الحوادث
الرائعة التي كان يتوقف على نهايتها وختامها لا تحرير هيلانة
الاسيرة وتدمير حصون تروادة بل تدمير مملكة ابليس وتحرير
العالم أجمع من أسر الشيطان ومخادع الظلام وخروجه الى حرية
أبناء الله ونورهم المجيد

فاليكم أرفأها القراء شرح حادثة مجيء المسيح من ميلاده
الى صلبونه الى قيامته الى صعوده سبكتها في قالب روائى يلذكم
جداً جداً ويقرب لسكم الفهم عند درس مفصلاته في أسفار
الانجيليين المذكورين ولا نبغي منكم عوض هذه الخدمة سوى
الدعاء لنا بالآخرة الصالحة ما

صاحب مجلة صهيون



رواية التجسد

هي حادثة شهيرة جرت في العالم من نحو ١٩ قرناً

لو كان أو ميرووس شاعر اليونان الشهير صاحب الاياداة التي
رجت الى شتى اللغات واللغة العربية متأخراً بقلم المرحوم العلامة
الفيلاسوف سليمان البستاني نظماً التي أودعها الشاعر اليونانى تفاصيل
غارة عناصر الاغريقيين على تروادة بدنب انتهاك باريس بن
برياوس ملكها حرمة مناسك تلك القدمونية الذي أحله ضيقاً
عزيباً في سرايه فخافه عند انتهازه فرصة غيابه وخطف امرأته
الجنية هيلانة وسلب أمواله وهرب بها الى تروادة ولما شعر مناسك
بهذه الخيانة دعا مختلف عناصر اليونان الأخذ بنأره فسارت جيوشهم
بقيادة أغاممنون وعولس وسواهما وزحفت على تروادة وأحذقت
بها وحاصرتها وحرقتها مدة عشر سنين ودمرتها

نعم لو كان زمان مدون تاريخ هذه الحروب التي أريقت فيها
دماء الابطال والقواد والمساكر وزعمت فيها تلك الارواح الكثيرة
متأخراً عن زمن مجيء المسيح والحوادث التي تتابته وكان لها
مساس به لاخترار إيادته لها وفضل تدوينها فيها عن كل حوادث
العالم لا عن حوادث تروادة فقط

هو ونسله (على سمك البحر)
الأرض)
قال الابن ومن شأن
الروح القدس والروح
بمعنى الذي يندرج

الفصل الاول

« ١ » خلق آدم - « ٢ » عصيانه - « ٣ » اضطراب
الملائكة - « ٤ » محاولة آدم اخفاء المعصية - « ٥ » الوعد بالفداء

« ١ » قال الله وهو يخاطب الابن والروح القدس (نعمل
الانسان على صورتنا كشبهنا « تك ١٦: ١ »)
قال الابن يلزم أن يكون هذا الانسان مزداناً بالعقل والنطق
والبيان

قال الروح القدس من صفات الكمال البر والقدس والطهر
في كل الاحوال فيلزم أن يكون باراً وقديساً طاهراً
قال الابن وملكاً ونبياً وكاهناً أيضاً
قال الاب ومن شأن الملك أن يكون ذا مملكة لكي يتسلط
هو ونسله (على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهايم وعلى كل
الارض)

قال الابن ومن شأن الملك أن يكون ذا قصر وجنة
قال الروح القدس ولتكن هذه الجنة حاوية جميع أنواع الفواكه
والاشجار والاعمار اللذيذة وفي وسطها شجرة الحية

قال الآب ليكن كذلك « وجبل آدم تراباً من الارض وفتح
في أنفه نسمة حياة فصار نفساً حية وغرس الجنة في عدن شرقاً ووضع
آدم الذي جبله ليعملها ويحفظها »

قال الروح القدس ليس جيداً أن يكون آدم وحده
قال الابن لنخلق له مؤنساً ومعيناً

قال الآب ليكن كذلك « فأوقع مباتاً على آدم فنام فأخذته
واحدة من أضلعه وملاً مكانها لحما وبني الضلع التي أخذها من
آدم امرأة »

قال الروح القدس ليدخل آدم في مدرسة الطاعة بقدر الاستطاعة
لكي يحتفظ بزمانيه وجميل عطايه ويستحق أن يرقى سلم الملائكة
بغير الموت

قال الابن حسبه أن لا يدوق هذا الثمر طول العمر دون أثمار
باقي الاشجار أي أن لا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر مدى الدهر
قال الآب هذه الامثلة سهلة اذا حفظها يسهل عليه حفظ
غيرها ولكن اذا تعدى الامر فباذا نحكم عليه وتبعث من الاذى اليه؟

قال الروح القدس بتوبيخ الضمير الدائم

قال الابن والطرده من الفردوس والتعزية من النعمة

قال الآب بل موتاً يموت

« ٢ » قال الراوي بالالهام - موسى عليه السلام قد سمعت هذه

المحاوره وزاكنت هذه المسامرة فازددت شوقاً وهياماً الى استطلاع

لقد اكفهر وجه هذا الفضاء واضطربت السماء واستحوذ الظلام
وزال من الارض كل سلام

قال عبريال كفكف يا أخي الدمع وارعى كل السمع فهوذا
أرى أنا أيضاً الارواح اقربين قد سكتوا عن التسبيح والتقديس
واشتملهم التقطيب والتعيس ولا يقدر الحيوانات الجلوس على
العرش ولا يسجد له الشيوخ حسب عادتهم « رؤ ٦: ٤ »

قال مخاييل هذا اليوم يدكرنى بالذى سقط فيه قاهر الامم الى
العدم وهو زهرة بنت الصبح الذى طمع بتبيح الرب وحاول أن
يصير مثل العلي فلا بد أن يكون لما نزل الى الارض عثا فيها طولا
لعرض وشوش نظامها وقروض أركانها كما أربك السماء وجنب ذنبه
ثلث نجومها

قال عبريال احتفظ بنظام جند الرب لاهبط الى الارض
كبرق خلب وآتيك بصحة الخبر على الاثر

قال مخاييل افعل كذلك وأنا أسهر أثناء غيابك على حركات
كل ملك وأطوف دائرة الفلك

وبعد أن غاب مدة حضر ودعا مخاييل قائلاً :

أخي لتلبس لباس الحداد وتشحج بالسواد على آدم الذى دون
خلاصه خرط القتاد

قال مخاييل إذاً لقد ابتلعه حوت البحر أو افترسه وحش البر
أو هوت فوقه الجبال وأدركته الاهوال

غرائبها والوقوف على أخبارها ومعجائبها وما يتخللها من الاخذ والرد
والسكر والفر لعلي ألج بجرها وأسبر غورها فقدت الشمع وأملت
السمع وسرت أفتنى الآتاروا كشف الاسرار في الاسحار حتى
حانت منى التفاتة الى فتاة السبح لخاتمة والشكر لمبدعها وعاقها ثم
لحت بقرها حية رقطاء محتالة شعاء ومما أخذنى العجب والخوف
وارعب هو أنى سمعتها تنطق بأفصح لسان مع كونها حيواناً ابن
حيوان

ومما قالته لتلك الفتاة الجاهلة والغادة الغافلة أحقاً نها كما الله
عن أكل النمر من كل الشجر يا ذات كل محاسن وغرور؟
قالت المرأة لا بل قد صرح لنا أن نأكل من كل ثمر الشجر
الا ما ينجم عنه الضرر

قالت الحية لو ذقنا هذا النمر لتجاوزنا منزلة البشر وقتنا
الشمس والقمر وعرقنا الخير والشر

وهكذا من دهاء الشيطان والكذب والبهتان حتى اغترت
الفتاة برهرة المراب وظننته من الشراب فاشتبهت ذلك النمر وهو
يختال بثوب الاوراق كمنور في عظم الضياء والاشراق وتناولته هي
وآدم فانالها الموت وضردهما من ذلك الملكوت

« ٣ » قال الراوى حصلت عقيب هذا الحادث المريع والواقع
الشيخ ضجة فوق الماء بين جنود السماء فارتفعت بالروح اليها
لاقف على ما حدث فيها فسمعت الملاك مخاييل يقول لعبريال :

قال غيريال كلابل انى وجدنه صحيح الجسم سالم العظم ولكن
 قد مسه الجنون وقد نور العيون وأمسى يخطب في ظلام دامس
 ويعثر في الظهر كما في عتمة الشهر الخامس وهو عريان حزين
 يحاول أن يستتر باوراق شجر النين ولما قصدت الطيران سمعت
 قهقهة من تلك الاغصان فتأملت فيها واذا بالحياة القديمة تجر نوب
 الخلاء واضحك كشملاء

قال مخايل لقد صدق الظن منى وزال الرب عنى وهو أن
 الرئيس الذى هوى مع التيه والهوى لما دحرناه يوم القتال ونكبات
 النضال هو وجنده الذين شاطروه الضلال « رؤ ١٢: ٧ و ٨ » زاد
 به الهيام الى أخذ النار والانتقام فالتقى بآدم وأفرغ في جسمه ممة
 وأكثرهم وغمه إذ جعله أن يستاء حاله ويفقد كاله فامسك ياأخي
 الزمام لاقتب على الواقع بالتمام وآتيك بصحة القول والكلام

« ٤ » قال الراوى تركت الملاك يتحلق في الافلاك واقتربت
 من الجنة لاسمع نهاية حوادث مخالفة السنة واذا بشيخه ابن
 الانسان المحمدر من حضن العتيق الزمان الى الرياض والجنان
 فكفت الطيور عن التغريد وبلجات الى أوكارها والوحوش هربت
 الى مقارها والبهائم اجتمعت زرافات ووقفت باهتة جماعات
 جماعات

أما آدم فكان يحيق به الخجل ويمشى القربل على عجل قناداه
 الرب الاله قائلا

أين أنت اليوم الحاضر من أمسك الغابر وحالك الموجود
 من أمرك المعبود كنت أسمعك بالامس ترفع نغماتك الى قدس
 القدس وقد أشغلك الآن الهوس وألزمتك الفتور والنمى فهل
 اعتراك الكبر والهجب وتجاوزت سنة الرب حتى اشتعلك الرعب
 ولماذا تحاول الفرار من أمام أبى الانوار الى القفار مع الاشرار
 قال آدم وهو قادم قد سمعت صوت خطواتك ماشياً فاخترت

بين الشجر خاشياً فاني عريان ومن الخزي ملآن
 قال الله لقد كنت لايساً حلة من الديداج ويبيدك عصا السيادة
 من العاج تمش بها على أمراب الطيور وقطعان النعاج أملكك
 أكلت ذاك الثمر حتى زال عنك البصر وخالفت الوصية حتى
 حاقت بك هذه البالية ؟

قال يارب ماعلي من عتب فلا أحتدل هذا الملام فلا تكثر
 الكلام فان المرأة التي خلقتها الى معينة عاقلة رصينة هي التي قد
 سببت لي الانعاب وأوقعتني في هذا المصاب بعذوبة اللسان
 ورة الخطاب

قال الله كيف لا أعتب عليك وقد حذرتك وعدتلك وتواعدتلك
 فحق عليك العقاب فانك من التراب وتعود الى التراب وليكن
 أكلك بالتعب والعرق والنصب وتلك المرأة تلد بالواجاع فى كل الاجيال
 والاصقاع ولتمش بالحصرة والندم عند خطوة كل قدم وهذه
 الحية فلتكن من دون سائر الحيوان ملعونة وبن كل انسان

مكرهة مهانة

(٥) قال الراوي قال الله ذلك وصعد الى السماء في مركبة من
الهواء فصعدت وراهه لاقف على آخر هذه الحكاية وأبلغ منها القصد
والغاية فسمعت الآب يقول وينطق في الموضوع والمحمول : هوذا
الانسان قد صار كواحد منا عارفاً بالخير والشر والصالح والضرار
مسكين لقد خاب منه الامل واعتراه الويل والنجل وحق به الدمار
والانقلاب واستحق كل نوع من العذاب في كل الاجيال والاحقاب
قال الابن رحمتاه يا ابتاه انه يليق بك أن تغفر للانسان هذا
السهو والنسيان لانه خلق للتعميم لا للجحيم وللسيادة لا للابادة

قال الروح القدس بل انه يستحق العدل وقد كان الملاك مخلوقاً
للسبع السماك فوقع في شرك الهلاك
قال الابن ان الفرق بين هذا وذاك جسيم والبعد عظيم فالاول
نوراني ذو بصير وحكمة ونظر وفطنة وقوة وفكر والثاني خالق من
تراب الارض ضعيفاً جسماً كثيفاً الشيطان كان مسكنه السماء وآدم
عقره التراب والماء

قال الآب لاجحة للانسان أمام العدل لا بالقول ولا بالفعل فاننا
خلقناه حكيماً وسيداً عظيماً وسلطاناً على الطيور والحيوان وقد علم
بالالهام ما حل بالشيطان من الهوان
قال الابن قد وجدت أسباب لطيفان آدم وهي الثمار واحتتيال
الغدار وأما الشيطان فلم يوجد لسقوطه سبب سوى العجب

قال الروح القدس ليتمجد العدل بالقصاص كما تتمجد الرحمة
بالتفريغ والخلاص فيلزم ان يعاقب الانسان بالطرد من الرياض
والجنان الى أرض الشقاء والاحزان
قال الابن قد تمجد العدل بقصاص الملائك فلتتمجد رحمتنا
بإتقاد هذا الهالك من المهالك وصعاب المسالك

قال الآب ان عدلنا قضى بان نخلق آدم ذا حرية مطلقة وسيادة
واختيار وارادة وقد أخطأ اليينا وأهان كالكنا وجلالنا فيقتضى أن
يكون جزاؤه غير محدود الى الابد ما لم يف وفاء تعادل كرامته كرامة
شريعتنا المهانة

قال الروح القدس مسكين آدم انى له في هذه الحال التي أسمى
الفساد مستولياً على طبيعته يفعل ما لا يريد ويتجنب ما يستصوب
(رو ٧ : ١٤) ان يقوم بهذا الوفاء الذي لا يقوم به الروحانيون
خكيف يقوم به الجسديون لان هؤلاء وأولئك متناهون
قال الابن بماذا يتم هذا الوفاء؟

قال الآب يموت قدوس بار عن آدم المائت وسفك دم زكى
عن آدم المقتول

قال الروح القدس سيأتى من نسل آدم من هم أبرار مثل نوح
وابراهيم ويوسف وموسى ويشوع وصمويل وإيليا فالاول يخلص
حسبة أنفار من الطوفان والثانى والثالث يخلص قومه من الجوع والرابع
يخلص الشعب من المصريين وبعض الامم والخامس والسادس يخلص

اسرائيل الشعب من شر الفلسطينيين والسابع ينزل المطر ويزيل
التحط ولا يمكن لبرارة هؤلاء أن تفعل أكثر من ذلك فتتخذ من
موت العالم الحاضر فقط لا من المزمع لانهم ورنوا عن آدم الفساد
والموت وبرايتهم إنما هي من الخطايا الفعلية

قال الابن ان رحمتنا التي لا تفرار لها تلزمنا أن احمل على عاتقي
هذه المسئولية (يو : ١ : ٢٩) فأرسلني يا أبت الى الارض لاصير
انساناً وأقبل بجسدي التعب والتعبير والبصاق والطم والصلب
والاوجاع وسفك الدم والموت والقبر وأني بما أني إله العدل الالهي
فلاصيرن انساناً وأقبل الموت وأحيي الميت الذي حاول أن
يصير إلهاً

قال الآب هل نحتدل أن تولد من فتاة فقيرة في مغارة حقيرة
ويحتقرك الشعب ولا يقبلك ويدعوك سامرياً وبك شيطان
ويرفعك على الصليب؟

قال الابن أجل احتمال كل ذلك (في ٢ : ٦) وأزِيل عن
آدم الموت يموتى

قال الآب انك مزعم أن تهرب الى مصر خوفاً من سطوة
هيرودس وتسفك دماء أطفال لا ذنب لهم

قال الابن كل ذلك أقبله عن طيبة نفس محبة في نجات آدم
ورحمة به لانى لأشاء موت الخاطيء وأوائك الاطفال فسا كافتهم
في ملكوتى وسأنبيل والدانهم صبراً وعزاء

قال الروح القدس بل ان الفتاة التي ستخذها أما لك ستفاسى
من أجلك مرارة الحزن ورسلك سيكونون مهانين من كل أحد من
أجل اسمك

قال الابن لكل الذين سيتبعوننى في التجديد سأجلسهم على
كراسى في ملكوتى

قال الاب اذاً انطلق وعد آدم بالنجاة وقل للحية (ان نسل
المرأة يسحق رأسك تك ٣ : ١٥)

قال الروح القدس وانا ساكون فى أفواه بعض أولاده البارين
مبشراً ونذيراً بالوفاء والخلاص

الفصل الثانى

- (١) مؤامرة سلطان الظلمة ووزرائه على البشر - (٢) انتصارهم
على مدينة نفس الانسان - (٣) ارتباك الارواح الشريرة - (٤)
فرار قائدى الكبرياء والتجديف من على جبال يهوذا - (٥) العائلة
المقدسة فى بيت لحم - (٦) ولادة الملك عمانوئيل

« ١ » قال الراوى موسى عليه السلام لما سمعت الحية القديمة
تهديد الرب لها بأن نسل المرأة يسحق رأسها لم تعبا به بل سخرت

واستهزأت وضحكت حتى استلقت على قفاها لعلها أنها أمست
بطاعة آدم لها سلطانه والآمرة والناهيه ولم يدبر بخلدتها أن النسل
المزعم أن يقتناها هو الابن الازلي المزعم عند امتلاء الزمان أن يولد
من امرأة

وبعد أن طرد آدم من الفردوس ووضع الحرس على بابه لينعموه
من دخوله انسابت الحية الى خارج وهي سكرى بجمرة الفرح واذا
برئيس الظلمة هش وبش في وجهها فجلس هو ووزراؤه على كراسي
وعقد بهم مجلس شوري وبدأ يخاطبهم قائلاً

لقد صفا لنا الجو بعد أن كان متعكراً فلا مشين في العالم ظاهراً
بعد أن كنت أمشي فيه متعكراً فأطلب اليكم بأنصاري وأشراري
أن تشروا وساعد الجد والهمة لنحسن تدبير ممالكنا الواسعة ونحكم
فيها بالعسف ولا نذع أحداً يبيت سواد الليل الا بالخرن والاسف
ولا تقسمن من جودي عليكم الاعمال وألقين على كاهلكم الاحمال
والاقتال فاسسوا الولايات على الظلم والحيف والعشم وأكثروا فيها
من القبور والابنات والاشقياء والابكار والشيخ والاحداث

قال وزير الحقد والغيرة والحسد : أسألك يا مولاي وغاية مناي
أن نجعل مملكة الحسد من شاتي ولطف نار أحزاني لكي أضرم
نارها وأثير غبارها وأغرس بذارها في قلب الاخ ضد أخيه والمولود
ضد أمه وأبيه وستسمع آني أشعل غيظ الفتى قايين على هابيل
المسكين وأحمله على قتله وأقد نيران الغيرة العمياء في قلوب أولاد

يعقوب الجهلاء ضد الاخ يوسف وأجعله أن يذوق طعم الغربة وأسقي
والده كؤوس الفراق الصعبة وألهب قلب فرعون بالجنون والجنون
وسوء السيرة وأحمله على إهلاك العشيبة وأجعله أن يحاول قتلي
الرييب موسى ابن ابنته الحبيب وكلم لي من التصنعات في قلوب النساء
المساكرات وكلم عندي من أسباب الشراة في قدرة أن أثير خاطر
الابن المنكود ضد والده المعبود

قال سلطان الظلمة لقد سلطتك على هذه المملكة الواسعة فما
عليك من حرج فلا تبقى فيها من سعي ولا من درج لانك قادر أن
تقول وتفعل القول

قال وزير الفحشاء وأنا سلطني على مملكة العشق والغرام
والشبق لالهيب قلوب الشيوخ قبل الشبان بالشهوة التي هي من
شأن الحيوان وسوف أتلب سنة الله في الزواج وهي أن يتزوج كل
رجل امرأة واحدة وأحمل الناس على تعدد الزوجات والزيجات الى
آخر رمق من الحياة وأني مزعم أن أثير شهوة الذكورة ضد بعضهم
حتى يمسي الحيوان أكثر عفة من الانسان وأنا الذي سيجعل بنات
الناس مع أبناء الله وأدع الخالق أن يجاب عليهم الفرق وسوف أدمر
غامورا وسادوم بهذا الذنب المشوم وسأجعل راوبيم يدنس مضجع
والد الكريم وأغري بنات مواب أن يدنس ويفضحن عسكر
اسرائيل المهاب وأبيد سبط بنيامين وأهلك بسببه من باقي الاسباط
أولفاً وميين

وشمشون الجبار ساذله بكيد النغي القهار . وداود الوديع ساذيب
فؤاده بسعير العشق الفظيع وأجعله أن يركب مطية الجمل ويرتكب
خطيئة الزنا والقتل وأمنون الولد المحنون سافقته بجمال أخته تامار
وأعدده شر الفجار وسليمان الحكيم ساكثرله من الزوجات غير
الرضيات لكي يغوين قلبه ويفسدن له ولا أطيل عليك الكلام
بما آتته من الامور الجسام

قال سلطان الظلمة لقد منحتك هذه الرئاسة لما أعهد فيك
من الدهاء والسياسة والتدبير والتغريب والنزوير ومتى أحسنت القيام
بهذه المهام فسأرفع مقامك الى النعام

قال وزير الكبرياء ان الصلف يأتي بالتلف ويجعل المسكين
المصعوك أن يرى نفسه ملكا من الملوك فساعى عيون الناس
بالوسواس وأطعن بسهام الكبرياء قلوب الجلاء والاعبياء وأجعل
حب الذات من شر الآفات وغداً أسمعك آتى صيرت المستبد
بالرأى يسقط بسقوط مدينة عاى

فانا الذى سيمتلي شاول بن قيس بالتقطيب والتعبين وفرعون
الغدار ساربه أنه أرفع من النجم الجبار وأسنى من الاقار وسادع
يختنصر المهذار يعى مع الوحوش كخنزير أو حمار وساهلاك من
عساكر سنحاريب بهداء الداء الرهيب وأدع هيرودس الخطيب
ينال أردأ نصيب ويرون ذلك الحزون مصيره النار بهذا الشرار
ودقلا العاقى أوتيه من مزايى وصفانى ويولياؤوس الكافر سيموت

ككاهن من شر ظاهر أما رؤساء الدين فسيبلون من بسوء الظن
وفساد اليقين كيلا يروا الفث من السنين

قال وزير محبة المال: ياذا الجلال سلطنى على ممالك الطمع
وابالات الجمع والجشم والخطف والصف كى أكثر من اللصوص
والسراق الى يوم التلاق وأدعهم يشبعون الطير والحيوان من
لحوم الانسان ويجمعون ويكسبون ولا يربحون ويتعبون ولا
يرتاحون الى أن يؤدى بهم الطمع الى قتل العريس والعروس والزج
في السجن والحبوس

وبهذه السيادة ساكثر المظالم في العالم من الجاهل الى العالم
فأدخل الاسواق بين الرفاق وأمسك هذا البتار وأضرب خيار
التجار لكي يفشوا الميزان والمكيال والمييار وأعودهم على
الكذب والقسم والظلم والغشم وأنزع الرحمة من قلوب ذوى
النعمة وأجعل القضاة يقضون برشوة أو بمشوة وبالاختصار آنا
مزعم أن أفضل في العالم أعمالا وأدعه خراباً وأطلالا وأقيم المال
إلهاً يعبد دون الاله الاوحد

قال سلطان الظلمة: اقبض على هذا الصولجان كل أوان واضرب
به قلب عخان ليسدوق طعم الذل والهوان . و عليك بهوذا الدافع
جرعه السم الناقع وحانثيا وامراته دعها يخذعان ويطمعان ويطغيان
ويترعان

قال وزير التجديف : كل هذه المزايا عقيمة وسقيمة في جانب ما آتية من الفعال ما لا ينهض به هؤلاء الابطال وهي آتي أنصب للناس كل شرك وأعلمهم الكفر والشرك ليتخذوا حون الله الاوتار ويعبدوا الطير والديب والحيوان
قال سلطان الظلمة لقد أحسنت الرأي والقول فأجرهما بالعرض والطول

« ٢ » قال الراوى موسى عليه السلام: أما أنا فلما سمعت هذه المؤامرات والمشورات لم تعد في قوة للقيام على رجلي واعتراى الدهول مدة نصف ساعة لا أعي فيها شيئاً ولا أعرف ان كنت ميتاً أوحياً وبيننا أنا كذلك واذا بواحد لم أر له ذاتاً يمس في أذنى قائلاً: أقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فم فيكلمهم بكل ما أوصيه به (تث ١٨: ١٨) فارتفعت الى هذا الوعد وتجدد بي الأمل ثم سرت في طريق جميع الناس تاركا الامر والتدبير لهذا النبي القدير

أما ذلك النبي فهو يشوع المرموز به الى يسوع وقد آتحننا بما وقف عليه هو ومن آتى بعده من حوادث الحرب التي أسمر نارها الشيطان في العالم

قال الراوى يشوع ومن آتى بعده: سرت في ليلة من ليالى الشتاء في ظلمة شتاء حاملا رسالة من لدن ربي الى شعبي فلما أعيانى السفر ولم يكن قر عثرت بمكان ملآن من الاجسام المعظمة

والاصنام المجسمة فهبت إذ لم أعهد في هذا الطريق مثل هذه الاحوال والاشكال ولم يكن قليل حتى خرج من هاتيك الصور المنحوتة أشخاص بهيئات مخوفة ورؤيات مرعبة نحيفة البض بأزياء نساء والآخر بأزياء رجال وأخذوا يرتصون ويفنون أغاني تجديف على الله ومسيحه وبعد قليل دقت الطبول والاجراس ونفخ في الاصوار ونادى المنادى أن حملات الشيطان رجعت

برايات الفخار وعلامات الانتصار على أولاد آدم الفجار فحينئذ تذكرت ما أخبرني عنه معلمي عما سمعته من جمعية هؤلاء الارواح وزاد هيامي الى معرفة ما فعلوه في عالمنا الشقي ولم تكن مسافة حتى وفدت تلك الحملات فخرج الملك من صنم جسيم وبدأ يسألهم قائلاً

مرحبا بقوادى الجبابرة وأعوانى الاكثرة لقد تحملتم المشاق ودخلتم ميدان السباق وجلتم في الارض طولاً لعرض « اى ١: ٦ و ٢: ٢ » واقتحتم الاخطار الليل والنهار فاتحفوني بالغنائم

قال القواد: حاصرنا مدينة نفس الانسان وهذه الغنائم التي أحضرناها معنا جماجم الفجار ولاعبي القمار وكاشفي الاسرار وسافكي الدم المختار وجاجم المرايين والظالمين وعبيدة الاصنام والكفرة برب الانام

قال الملك: قصوا علي وقائع الحروب لا ترى ان كنتم

حزرم الابطال في ميدان القتال وهل أسر أحدكم
من يقد فتممه ويكفكف دمه ويلد صممه ويجبر كسره وينك
خدمكم

قال القائد (مامونا): لقد تركنا قائد التجديف بجارب مخائب أسره ويسهل أسره؟
على جسد موسى «٩: ٩» ليدع اليهود يعبدون غير الله فان قائدهم
هنا دانت له رقاب العباد في كل الامصار والبلاد ما عدا رقابهم
هذه الامة فكم مرة حاول أن ينسبها ذكر الله وهي تعود الى الهذلية
به ومما يضحكننا ولا يربكننا هو أن قائد عسكر الفحشاء بعد أن
أخذ ملك اسرائيل وأسقطه من مجده الاثيل ألفيناه يضرب
على الارباب في ذكر الاحباب وينشد أناشيد الرحمة لينجس
من النعمة ويؤمل أن يدرك بالناجاة النجاة ومن هذا الحال عد
ولا تبال

قال قائد الحسد: وقد تأخر عن القيدوم قائد عسكر الكبرياء
الذي قد تركناه بصوب همامه نحو كهنة اليهود فلا بد أن النصر
حليفه يعود

«٣» قال الراوي: سمعت بأذني هذه القصص التي قصها
قواد ملك الظلمة فخرت روجي واضطرب فؤادي وأعطيت
الويل للانسان الشقي ولعنت اليوم الذي بشر فيه بولادته وقلت
كيف يرضى الخالق أن يترك لهؤلاء الطغاة العالم يمحون فيه
ويفرحون بهلاكه ولا يهتم بانقاذه فحاشا لاله الرحمة أن يحتمل
ذلك فلا بد أن يأتي يوم تخفق فيه رايات النصر لبني البشر ولكن

كف يكون ذلك وبأية وسيلة أو حيلة؟ فهل يخرج من نسل آدم
من يقد فتممه ويكفكف دمه ويلد صممه ويجبر كسره وينك

وأي الحيلة المحطمة أن نجبر المكسور؟ ولا مبد أن يفتك العبد؟
والمشجوب أن يفدى المشجوب؟ فاعترتني حيرة وأي حيرة وإذا
لم أعرف الطريق الى الخلاص من ذلك القصاص صرخت بصوت
مسوع وبكاء ودموع (نخلصك انتظرت يارب تك ٤٩: ١٨)
فجاوبتني تلك الارواح بسخرية ومزاح من الليل الى الصباح ثم
أشرق وميض ونادي مناد في ذلك الواد قائلاً

أنا أعلم أن ولي حي وبهد ذلك على الارض يرى (اي ١٩: ٨٥)
فاتمشت مني الروح وقلت هذا الصوت يشفي الكلوم ويبريء
الجزوح وقد زاد يقيني للنجاة من أولئك الطغاة ورجوت أن
أجد على مدى الايام ومرور السنين والاعوام من يفتك لي تلك
المعصيات ويحمل لي رموز المواعيد الساميات

ثم وجهت الالتفات الى حركات وسكنات الاشباح الماكرات
لارى ماذا يكون من أمرها وزيادة شرها
وبينا أنا أهدق النظر وأجلى البصر في ضوء القمر وأسمع
قصص القواد لما وافوا من تضليل العباد وتدمير البلاد واذا قد
غشى ذلك المسكان ظلام دامس وقمام متلاصق وعقب ذلك
صراخ وضجيج وعويل وعجيج حتى اعتراني الفزع واشتغاني

الخوف والورع واحترت في ماذا عسى أن يكون سبب هذا من رياستك ودهائك وسياستك
الاتقلاب السريع والانعكاس المروع

وبعد مرور ساعات على هذه الحالات صرخ رئيس الظلام
أن اسكتوا لسمع نهاية الامر والكلام وعلى أثر هذا القول انبوى
العقول حدث سكوت لم يبق بعده الا الشهيق والنهيق والزفير
والصفير ففهمت بالقرمحة لا بالاقرال الصريحة أن قائدي الكرياء
والتجديف دحرهما راعي اسرائيل الطريف وقيدهما وعساكرهما
بقيود أبدية (٦ : ٦) وقد سقط البعض في الحرب وأنحن من
الظمن والضرب فاستقدم الملك القائدين وقال لهما ماذا حدث
لكما من المصائب وشر النوائب وما بالكما مكلان بالقيود
كلاسود؟

قال قائد التجديف : مولاي وكل منأى بحجبي الخجل
أن أرفع عيني اليك ولا يدعني الحياء أن أقف بين يديك فقدم
جوابي برهان على عظم مصابي ومشقاتي وأندامي وأمي وعذابي
وقد كنت أومل أن النصر يكون حليفي في كل مكان كما كان بين
العرب والعجم واليونان لكن خابت مني الآمال في هذه
الليل وانكسرت في حومة القتال أنا وكل الابطال وفررت
رغمًا عما عرفته بي من قوة الجأش والجنان يوم موقعة فردوس
الجنان

قال الملك من هو ذلك الجبار والبطل القهار الذي جردك

قال القائد : لا أدري أهو انسان أم الرحمن وانما ماجرى
أقصه عليك لكي تتدبر في أمرنا قبل أن يختلط خلنا بخرنا
ويقف دولاب شرنا كل عمرنا

بينما كنت في هذه الايام على رأس جبل من الجبال أحارب
رعاة كانوا يحرسون حراسات الليل من داهية أوويل واذا
بضوء أضاء حولي أفقد مني النظر والنور والبصر فعراى الارتعاش
حتى لم يبق في انتعاش وسقطت سقوط الراكب عن غارب وما
كنت أقف على القدم لأعلم ان كنت في الوجود أم في العدم
حتى سمعت أصواتًا من السماء ولحت مخائيل وجنوده يتحلقون في
السحب والهواء

« ٤ » قال ملك الظلام : ماذا فهمت يا همام من ذلك

الكلام؟

قال : ما زاد شري وأكثر ضرري وأعد مني قواي وسبب لي
بلواي وفرق عني الابطال وأردكان الحرب والرجال وأولاني القلق
وسبب لي هذا الارق الا صوت شيخ زعزع الجبال وعاد علي
بالوبال وهو قوله : هوذا قد غلب الاسد الذي من سبط يهوذا أصل
داود ليفتح السفر ويفك ختمه السبعة (رؤ ٥ : ٥) وكان الضابط
نسروخ أحد أركان حربى بقربى فسمع هاتفاً جاوبته الوديان وملا
هتافه بكل مكان وهو : سقطت سقطت بابل العظيمة وصارت

مسكناً للشياطين ومحرمًا اسكل روح نجس ومحرمًا لنكل طائر
نجس ومموت (رؤ ١٨ : ٢) ولما سمع هذا الصوت فاجأه
الموت

وبعد ذلك سمع الضابطان بيل وعشاروت مبشراً ينادي
الرعاة ويقول لهم : قد ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو
المسيح الرب (لو ٢ : ١١) وراى زفس والزهرة وايس جمهوراً
يسبحون الله ويقولون (المجد لله في العلا وعلى الارض السلام
وبالناس المسرة) (لو ٢ : ١١) فتركوا أسلحتهم ولجأوا الى الفرار
في تلك القفار أما أنا فوقفت في ذلك المكان أسخط على الزمان
حتى ذهب أرائك الارواح ينشدون نشيد الافراح ثم جئت مخذولاً
مهوراً مرذولاً

وما كاد ينتهي من روايته حتى تحفزت للقيام والذهاب الى دار

السلام

« ٥ » وقد قص باقي هذه الرواية من ليس فيه ضلال ولا

غواية فقال وأجاد في المقال

انطلقت الى اليهودية في غروب شمس مضيئة وقصدت بيت
لحم مدينة داود فسرت أنشد مكاباً للمبيت وبيننا أنا أسير في طرقها
وأجوب ساحاتها نظرت شخصاً قهراً يقود قناة حقيرة فاقتفيت
منها الاثر لاقتص ذلك السر المعتبر فوضنا على باب بيت رفيع
الاركان شاقق البنيان وقرعاه قرعاه متواليات فخرجت جارية

من بنات الشيطان كانت تخدم ذلك المكان وقالت من هذا الطارق
الا سارق؟ فأجاب أنا يوسف النجار يا بنت الاحرار وامرأتى مریم
الحرة لا تعرف المضرة يا ذات كل مبرة وكلانا من هذا الحي لا نعرف
التي وقد كنا في الناصرة مقببين يا ذات الجود المبين وقد جئته
نكتب بحسب النسب

قالت الجارية ماذا تنشدان الآن؟

قال يوسف ننشد أوى للمبيت في هذا البيت

وقبل ان يتم كلامه مارضته الجارية قائلة ليس في هذا البيت
مكان تحولا عن الباب لئلا يدركا المصاب وأطرد أنا بهذه الاسباب
فقلت: لاجيلة للراحة في هذه الساحة فهؤلاء قساة القلوب
ملطخون بالاقدار والعيوب لا يقرون الضيف لا في الشتاء ولا في
الصيف

وكانت تلك الليلة شديدة البرد فما صدقت أن صادفت فندقا
حتى خرجت عليه ولكن شمتقي على ذينك الشخصين لم تدعني أن
أجد راحة في ذاتي فلم ألبث قليلا حتى خرجت أسى في طلبها
لأحضرهما الى ذلك الفندق فجلت أسى وأطوف في أزقة تلك
البلدة الصغيرة الحقبرة (مى ١٥ : ٥) فلم أقف لها على أثر فعدت الى
ذلك الفندق منتوجع القلب من صروف الزمان وويلات الانسان
وجلست بجانب شيخ كان يصطلي على نار وسألته قائلاً

أبها الشيخ الوقور ما هو اسمك وكم بلغت من السنين منذ
ولدت الى هذا الحين ؟

قال اسمي سمعان وقد بلغت من الكبر عتياً وجماً قليل أذهب
نسيماً منسياً وأمضى الى الرمس مع رجال أمن فما أقل سنى عياني
وأكثر مشقاتي (تلك ٣٧ : ٦)

قلت ما رأيت في زمانك من أفراحك وأحزانك قصها علينا
لندراً هنا الليل في هذا الليل

قال ليس في العالم سرور بل سرور فقد اجزت الزمن في
المصائب والاحن ولكن أؤمل أن أجتاز باقي العمر بالسرور
والطهر

— كيف يكون ذلك والسعادة في أوقات الشبيبة التي ليس
لك فيها إعادة ؟ والآن قد وهن منك العظم واعتراك الضعف
والسقم

قال لا أنتظر راحة جسدية بل روحية

— هل في الاستطاعة أن أساهمك في كسب هذه البضاعة ؟

— قال ذلك في الطاعة

— لمن هذه الطاعة يا أبا القناعة

قال للعتيد أن يملك على بيت يعقوب الى الأبد

— لا أرى الآن دواعي تستلزم الانقلاب في الهيئة الحاكمة
فإن أمتنا نحن متوجمة تحت نير الرومانيين الباهظ وولاتنا مقيدو

الحرية يؤدون الجزية صاغرين فضلا عن المساوي والظلم والغشم التي
يصلون الرعية بها فعلى فرض أن رومية منحتنا استقلالاً وحرية فهل
ترجو العدل والمساواة من هؤلاء الطغاة ؟

— قال لا نؤمل أن يعاملونا بالخير

— إذاً لا أمل لنا في ماتتوقمه صابراً

— قال الرجاء موجود في الملك ابن داود

— وعلى تقدير أن ابن داود هذا يعبد في ملكه ويورد
الرعية مورد الراحة والسعادة فلا يفعل مثله أعقابه وخلفاؤه فإن داود
عدل وسليمان حكم وراحمهم ظلم وغيرهم غشم ونبد شريعة الله وكفر
به وعبد الاوثان

— قال ان ذلك الملك المزمع أن يملك لا يموت بل يحيا الى الابد

— إذاً ليس هو انساناً بل ملاكا

قال ليس انساناً (محضاً) ولا ملاكا

— إذاً هو الاله

فأطرق الى الارض ثم رفع رأسه وقال ان أحببتك أنه الاله
فستقول لي أن الله لا يراه أحد وان شرحت لك صفاته تزداد تعجباً
ولكن المستقبل سوف يريك من هو ويمتلك بملكه ويملك أحد
أنصاره والقائمين بدعوته

— وأنت أيضاً ؟

قال أنا سأراه فقط وأسير في سبيل جميع الناس قبل أن يجاس

علي كرمي داود

وعند هذه العبارة استوقفته ثم أخبرته عما صادفته في شوارع
بيت لحم شاكياً قساوة سكانها

قال من يعلم ربما كانت الفتاة حاملاً بملك إسرائيل الجديد فإن
كانت هي فسأنتقل إلى أورشليم وأنتظر قدومه إلى الهيكل وأعاقبه
كوعده لي ثم أتوجه إلى جدوده آدم وإبراهيم واسحق ويعقوب وأبشرهم
بولادة شهوة جميع الأمم ورجاء إسرائيل

وما كاد ينتهي من عبارته حتى سمعت ضجة في الخارج فظننت
أن الحراس التقوا بلصوص فتركتهم وسرت مسرعاً لكي أجتلي
الخبر ولم أخط قليلاً حتى وجدت الحرس يسوقون جماعة بالضرب
والاعطام ويقولون لهم أنفضوا غبار السكر من رؤوسكم كفاكم خلطاً
وجنوناً

أما أولئك الأفراد المعتقلون فكانوا يضجون ولا يباليون بذلك
الوعيد والتهديد

وبيننا أنا أسير الهويينا حانت مني التفاتة إلى الرجل الغريب الذي
كان ينشد ماوى له ولامرأته فسألته قائلاً عسى أن تكون وجدت
مكاناً لجأت إليه ؟

قال وجدت مقارة

— الحمد لله على ذلك أرغب اليك أن تجميعني عن سبب
اعتقال هؤلاء الرجال

قال ألا تسمع ماذا يقولون ؟ اقترب قليلاً واسمع
فاقتربت وإذا أحدهم يقول انى أبشركم بأنه قد ولد لكم مخلص
هو المسيح الرب المنتظر

— من أين علم هؤلاء بذلك ؟

قال - كانوا قبل برهة يحرسون حراسات الليل على غنمهم في
القفز فأشرق عليهم نور من السماء وكلهم ملاك بمثل العبارة التي
سمعتها من أحدهم وأعطى لهم علامة لتأييد كلامه وقد وجدوا كما
قال لهم ثم رأوا معه جمهور ملائكة يسبحون الله

فتذكرت حينئذ كلام الشيخ سمعان وقلت للتكلم لم يبق
في احتمال للكلام عد بنا أرني أين ولد الماسيا ان كنت تعرف
المكان

قال أعرفه جيداً وسأريكه غير انه يلزمنى أن أقف أولاً على
مايجل بهؤلاء الرعاة المتهمين بالسكر والجنون ظلاً

ولم ينته من كلامه حتى أقلت واحد منهم بسرعة وهو يقول
ابنى ذاهب إلى أورشليم لاوقظ الكهنة وشيوخ الشعب وأبشرهم
بولادة شهوة الآباء والانبياء فضرب النفير ليدعو أحد الفرسان
لكي يقتص أثره وكانت الظلمة شديدة فترجح لدينا أنها تحول بينه
وبين ذلك الراعي لكن كان فراره سبباً لزيادة التنكيل برفقائه وشدة
الاحتفاظ بهم وطرد الناس من أمامهم وورائهم

ولما لم تبق لنا وسيلة أو حيلة للوقوف على كل مايجل بهم من

المصلب عاد بي الى حيث ولد الماسيا قبلنا مكاناً تاوحي اليه قطعان
البقر والغنم فأمسك بيدي وسار بي بين نفاه الغنم ويعار المعزى
وخوار البقر حتى بلغنا باب مغارة فلم أعد من ثم محتاجاً لقيادته لان
نوراً كان ينبعث منها الى الخارج فنزلت خلفه على ضوء ذلك النور
الساطع ولما أدركت الاسفل شعرت بروح جديدة قد انبعثت في
جسمي واعتراى الفرح المزوج بالخشية والاهابة والخشوع ولم تعد
ركبتاي تحتلان وقوفي فخررت على الارض ساجداً وصرخت قائلاً
لقد سمعناه في افراة فلندخل مظلته ونسجد في المكان الذي
قامت فيه قدماه (مز ١٣٢ : ٦ و ٧)

«٦» ثم وقفت وحانت منى التفاتة الى يميني فوجدت مفوداً
وامرأة يقرب منه تفسر هيئتها عن الكمال وتلوح على طلعتها الرقار
والاجلال وفي حضنها طفلاً ينبعث من وجهه الابنيس النور . فأوماً
اليه يوسف بأصبعه وقال لي هذا هو محط رحالك وموضوع آمالك
وهذه هي مريم ابنة داود والدته السعيدة التي لم تعرف بحبله رجلاً
ثم جلس بجانبها وأجلسني معه وأخذ يقص عليها ما حدث للرعاة
ولما أتم روايته قالت مريم لا ينالهم الشر ولا يدركهم الضر فسرى
عناية الله بهم ظاهرة

قالت ذلك والتفتت الى الطفل وناجته قائلة : لقد ارتضيت
أيها الابن المولود منذ الازل أن تولد مني الآن . الآب يدعوك
ابنائه لانك ولدت منه وأنا أدعوك ابني لاني ولدتك وأنت واحد .

ميلادك الاول عجيب وأعجب منه الثاني . لا أطلب لك أمماً في
السماء ولا أباعلى الارض . أحاط بك البطن وأنت تملأ السموات
والارض . يضمك المذود والحضن وحضن أبيك السموى ولا يسعك
الفضاء والفراغ . أخدمك هنا وفي السموات تقدمك الملائكة .
أحذق بك وأمسك بارادتك وبحجب السارافيم أعينهم من النظر
الى عظم بهائك : أسقيك لبن ندي لانك جائع وأنت الذي تمنح
الحياة والقوت لكل ذى جسد (عن السروجي بتصرف)

وما كادت مريم تختم نشيدها هذا حتى سمعنا وطء الاقدام
خارج المغارة تخفقت قلوبنا وتغير لوت وجوهنا واعترانا الفزع
فسكنت مريم روعنا قائلة لانها قال لان الرعاة أفلتوا من ايدي الحراس
وقدموا اليها . ولم نلبث برهة حتى دخلوا المغارة وابتدأوا يقصون علينا
كيف نجاهم الله من الضيق قائلين

بعد أن خرجنا من هنا ظفنا أزرقة القرية تتادى ونكرز ونبشر
بولادة المسيح فاعترضنا الحراس وقبضوا علينا وغلوا ايدينا بسلاسل
من حديد واستاقونا كأننا سكارى ماعداً أحداً قد أفلت من
ايديهم وفر هارباً الى اورشليم لكي يبشر اهلهما ولما وضعونا في السجن
مكبلين ومثقلين بأغلال الحديد تذكرنا يوسف حين كان مسجوناً
بمصر ودانيال في جب الاسود والثلاثة فتية حين ألقوا في أتون النار
ويونان في بطن الحوت وشرعنا نصلى ونستقيث بالمساييا ثم ختمنا
الصلاة بهذا النشيد

تمجد الرب القدير
ترفع الصوت الجهر
جاءنا المسيح حقاً
اقبلوا الانجيل حقاً
قد رأينا اليوم طفمة
مجداً لاله قالت
بيت لحم ذى الحفيرة
قرية داود الصغيرة
ولدت رب السموات
والسلامة والسلام
قد سمعت في البلاد
ولدت رب السموات

وما كدنا نحتم هذا النشيد حتى سقطت السلاسل من أيدينا
وافتحنا لنا أبواب السجن من فماتها فخرجنا منه ونحن غير مصدقين
بالنجاه من شدة الرعدة التي اعترتنا

و بينما هم في هذا الكلام واذا برفيقهم الذي ذهب الى اورشليم
قد حضر وما سلم حتى تكلم قائلاً

ان العاصمة أمست في شغل شاغل وهم متواصل بخصوص ولادة
الماسيا لان مجوساً ثلاثة من ملوك المشرق سكان الغربة السعيدة
واقفوا الى اورشليم ونزلوا ضيوفاً في بلاط هيرودس الذي لما سأله أين
هو المسيح المولود ملك اليهود لاننا رأينا نجمة وأتينا لنسجد له اضطرب
من هذا النبأ وجمع كل الكهنة وكبار الامة ومفسري الكتب
المقدسة وسألهم عن المكان الذي يولد فيه الماسيا فأجابوا بما
(بيت لحم)

وما انتشر هذا الخبر بين أولئك البشر حتى قامت له المدينة
وقعدت وما عدت نجد اثنين يتحدثان بغير ذلك وقد مررت على
باب رواق سليمان فوجدت جماعة يتجاورون منهم من يكذب وآخر
يصدق فلما رويت ماسمته وعابته اندعروا وكان البوليس السرى
منتشراً في كل تقطة بخلاف كل ليلة فانبرى لى أحدهم من بين ذلك
الجمع وقبض علي قاصداً أن يقودنى الى البلاط فاحتلت عليه بدعوى
أن هيرودس الآن غارقاً في سمة النوم واني غداً آتية في هذا المكان
لنذهب معاً وأنال الجائزة عن ذلك

وبهذه الوسيلة نجوت من يده على أي تأكدت من جهة
أخرى أن النوم طار من رأس هيرودس وما عاد يهنأ بأكل أو
شرب وطرده من بلاطه المغنين والمغنيات والراقصين والراقصات
وأبعد عنه الملاهي وشمله الحزن

ولما آتم كلامه قل الرعاة بعضهم لبعض ههنا بنا الى القفر
لنتعاهد الاغنام ثم انطلقوا



الفصل الثاني

(١) مجيء الجوس (٢) النبوة على المسيح

« ١ » قال الراوى بعد أن انطلق الرعاة الى القفر انطلقت
 أنا أيضاً أقتص أثر الشيخ سمعان لابشره بأني قد وجدت الماسيا
 وآتى به لكي يسجد له ويشكر الله الذي أنجز ما وعد به للاباء والانبياء
 كما فعلت أنا نخاب سعيي إذ وجدت ذاك الفندق موصداً ولم أكن
 أعلم أين منزله فالتزمت أن أعود على أثرى وما كدت أن أجلس
 تجاه مريم ويوسف والماسيا حتى حضر جماعة آخرون من الرعاة
 ويدهم هدية أقساط ملائكة من اللبن والسمن والجبن فتناول يوسف
 من يدهم الهدية ولما رأوا أننا شاعرون بشدة برد تلك الليلة فطلبوا
 أن الماسيا شاعر بذلك أيضاً فجميعهم ذكروا ذلك لي وأنا
 فنفيتنا (عن خطبة عيد الميلاد لايليا مطران صهيون) وقد كتبت
 المنزلة التي لم ألق الطعام تلك الليلة وكذلك كتبت في الرواية
 يغلى اللبن فقلناه فتناولنا منه حاجتنا وهكذا قضينا الليل ساهرين
 وفرحين ولما طلع النهار خرجنا الى خارج المدينة نترقب مجيء
 الجوس ووقفنا على الطريق المؤدى الى اورشليم مسافة ثلاث ساعات
 حتى مللنا وفرغ صبرنا فظننا أن هيرودس أعاقهم ذلك النهار عن

فرحنا ولما وصلنا الى تلك الحظيرة وجدنا فيها جمالا
 كثيرين منكم غريب وعجيب وعبيداً يجرسها فقال لي حينئذ
 من أن الجوس أتوا من طريق آخر على هداية النجم
 فظننا أنه ارشدم وقادم الى هذه البلاد وهكذا دخلنا المغارة
 بين شك ويقين فلم نجد فيها غير مريم والماسيا لكن رأينا المنود
 ملاءتاً من صفائح ذهب واكياس تنتشر منها رائحة اللبان والمر
 فجلسنا صامتين منتظرين ان نسمع من مريم شيئاً جديداً وخبراً
 مفيداً ففهمت ذلك وقالت بعد أن خرجتم بساعة انتشر نور ساطع
 في المغارة بشكل نجم وعقيب ذلك سمعت هدير جمال وبعد برهة
 دخل المغارة ثلاثة رجال يمد كل منهم وعاء فألقوا الاوعية على
 الارض قدام الماسيا وخروا ساجدين بخشوع وخضوع ودموع
 وقلوبه مثنى وثلاث وجلسوا صامتين وقد انتشر البشر والايناس
 فيهم ثم فتحوا الاوعية وأخرجوا منها هذه الصفائح الذهب
 والقوالب اللبان وهذا المر ولم أكن أحسن قبل هذه الأوتة
 اللغة العربية فأوتيت معرفتها وفهمت من كلامهم عبارات
 يصوم لابني مقدمين له الذهب جزية واللبان عبادة والمر لتضييخ
 جسمه به فسألهم عن جنسهم وبلادهم فقالوا نحن أمراء العربية
 السعيدة المشهورة ببلاد سبا فتذكرت نبوة أبي داود في (مز ٧٢)

ملوك سبا وشبا يقدمون هدية

ومما زادهم عجباً ودهشة جوابي لهم حين سألتني عن هو أبو

من اورشليم وتقليد أسلافهم انه يكون علامة ولادة ملك
تسبده له كل ملوك الارض وتؤدي له الجزية وتعترف بسيادته وسلطته
انطلقوا الى السوق ليتناعوا لهم زاداً

قال يوسف : لو استوفقوا عن الذهب برهة لقمنا لهم بواجب
الضيافة لان لهم علينا حقها

قالت مريم : حاولت ان أستوقفهم فلم أستطع الى ذلك سبيلا
ولكن منذ الآن فصاعداً يلزم أن تؤدي لهم كل ما يجب لهم علينا
وبينا نحن صاغون الى حديث مريم الرقيق واذا الجوس أتوا ودخلوا
المقارة فوقتنا لهم اجلالاً وتعظيماً وحيثناهم بالسلام والابتسام ولما
جلسوا قال أحدهم أن غرضنا من احتمال مشاق السفر أن نعقد
بودة مع الماسيا وهو في المهد ونكون له انصاراً ونحن وقومنا حتى شرع
تخرج أهل الارض ويخضعهم لقضيب ملكه

فتبست مريم ضاحكة وقالت : تستحقون الشكر على هذه
المواطف والحاسات والنوايا السليمة غير أن الماسيا لا حاجة له الى
مثل ذلك

قالوا كيف لا حاجة له الى الانصار ونحن نراه ليس هو ابن
هيرودس ولا ابن طيباريوس

قالت : لانه لا يسود المالك ويخضع البلاد ويدوخ العباد
بالسيف بل بالتعليم

قالوا إذاً لا يملك كسبحاريب ويختنصر ويسود مثل دارا

المسيا الملك انه لا يرى وانه

عجيبهم أنهم لا يدرون شياً من مبادئ ديننا البتية وعبادتنا الربية
فيلزم أن تعلمهم يايوسف بن داود صحة الديانة والناموس والانبياء
مقابل معرفتهم لنا الأثرى هذا الذهب الذي لا تفتنيه الايام والاعوام؟
ومن رأيت أن تقدم لهم مجموع الاسفار التي كان الكاهن زكريا نسخها
لى أثناء وجودي داخل الهيكل أو الاحسن أن نحفظها للماسيا الى
حين يشد أزره ويبلغ رشده

قال يوسف : أظن أنهم لا يحسنون التكلم ولا القراءة بلقتنا
العبرية فيحترقون هديتنا بدل أن يوقروها

قالت مريم : تذكرت أن الكاهن زكريا حدثني عن شيخ
مسى اسمه سمعان كان في الاسكندرية لث فيها زهاء العشرين
وفي هذه المدة استطاع أن يتعلم اللغة اليونانية واللاتينية
أسفلتة هذه اللغة بين يهود مصر واللاتينية بين يهود
البطالسة تحصل على مجموعها مكتوبة باليونانية والعربية نما على ورق
البابيروس فلنبتعها منه بثمان قليل أو كثير وتقدمها لهؤلاء الامراء
تحفة ثمينة

قال يوسف : ليكن كذلك

قلت أنا وأين الجوس الآن؟

قالت مريم : بعد أن مكثوا حصة يعجبون من منظر الماسيا
ويقصون علي حادثة ظهور النجم وارشاده لهم واختفائه عنهم حين

وكورش وسيزوستريس والاسكندر وقيصر

قالت : الفرق عظيم بين ملك ابني وملك أولئك لان ذلك روجي لانه لانه وهذا بالعكس قالوا : من أين تعلمين ذلك ؟

قالت : من الملك الذي بشرني بالحبل به لانه قال لي انه (ملك) على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون ملكه نهاية (يو ١ : ٤١) قالوا : اذا لا يتجاوز سلطانه حدود اليهود

قالت : بما أن ملكه روجي ولا نهاية له فلا يتجاوز مكان واحد لانه يستولى على حواس الملك الحيوان والجماد والطيور قلوبهم وطاعتهم لشرعته الالهية كما قال (يو ١٧ : ١٧) (٢٧)

(٢) ولم يكن يعلم الجوس من أمر الانبياء شيئاً فظنوا أنهم كالسحراء والمنجمين والعرافين والمشعوذين وكهنة الاصنام الذين كان يتوهم العرب والسريان واليونان في الجاهلية أنهم يعرفون الحوادث المستقبلية ويتخبرون بها

ولا يظن القارىء أن شعور الجوس بأن ظهور ذلك النجم يدل على ولادة الماسيا هو نتيجة أولئك المشعوذين وإنما هو تقليد كان منتشر بين شعوب الشرق الذين أحدهم العرب المستعربة الذين تقلدوا عن اساميل أبيهم وهذا تقليد طبعاً عن أبيه ابراهيم الذي قال الله (و يتبارك ينسلك جميع الامم) و ابراهيم تقلد عن نوح على حسب النسخة العبرية أو سام ابنته

وأخذ عنه ونوح تقلد عن قينان بن شيث بن آدم (ان نسل المرأة يسحق رأس الحية)

قال الجوس أن انبياءنا لم يخبرونا بمثل ذلك وإنما أخذنا عنهم وعن أسلافنا ان الشرق بأكله سيخضع لك من العبرانيين ألا ترى من ماذا أجاب كاهن صنم بملك اسكندر المكدوني حين سأله ان يخلقه في ملكه الواسع ؟ فقال له : ان ولدأ عبرانياً يخلعك في ملك (الركن الرابع من منارة الاقداس لاغر ينور يوس أبي الفرج (ابن العبري)

قالت مريم : ان أقوال كهانكم تحتل الصدق والكذب معاً فصدقوا لا يصدقون الا في الحوادث الممكن الاخبار بها من احوال الاحوال لان ارواح الشر المحدود علمهم التي تلقنهم (ان صحت دعواكم والافهي تحت الريب) لاتدرك الحوادث المدفونة في عالم الغيب المحفوظة لعلم الله فقط الذي لا يحل في صنعة الايدي ولا يسكن الا في القلوب المتواضعة النقية والهياكل الروحية التي لاتتدنس بارجالس الامم وعبادتهم الاصنامية المقوثة

قال الجوس : اعتدنا أن نعول كثيراً على أقوال كهاننا ومن دأبنا ان لا نفتح حرباً دموية الا بعد استشارتهم واستخارتهم

قالت مريم : انكم لفي غرور لا محالة أتجهلون كم انخدع من ملككم بغواية الكهان وخديعتهم فضلوا وذلوا ؟ وحسبكم شاهداً انك لست لكريسوس ملك سرديس يوم أرسل وفداً الى كهان ذلتي

يستشيرهم ويستعلم منهم عن نجاحه في الحرب التي قصد أن يفتحها
مع الفرس فاغتر بجوابهم المعنى وكلامهم المبهم الذي يحتمل معنيين
نجاحه وخذلانه معاً بقولهم له (إنك يا كريسوس إن فتحت الحرب
تسبب دمار مملكة عظيمة .

وهذا الكلام يقدر أن يكون من قبل الكاهنة الذي
الاحوال ولكن ماذا كانت نتيجة هذا الكلام الذي
طالمة السيدة وقلة الحسن الداه وأعتد عليه واستبشر ملكه
مملكة الفرس قد خذل وأسر في الحرب ودمرت مملكته (عن
هيرودوتس)

قال المجوس : لا بد أنك تتدكرين أن كاهنة ذلتي قدرت أن
تعرف بعرافتها ما كان يفعله كريسوس في قصره مع ما بينهما من بعد
المسافة إذ قالت للوفد (أني شممت رائحة سلحفاة تشوى مع لحم
الخروف في خلقين من النحاس غطاؤها من نحاس أيضاً)

وكان كذلك أيضاً لأن كريسوس الذي عين يوماً مخصوصاً
لرساله يتمخون فيه الكاهنة لمعرفة النسيب وسألونها عما يفعله
في ذلك اليوم ففكر أن يعمل فيه ما لم يخطر على بال أحد أو يكن في
حسابه فأخذ سلحفاة وخروفاً وقطعها بيده قطعاً وطبخها في قدر من
نحاس

قالت مريم هذه القصة على فرض صحة الخبر لا ينبغي
أكثرنا قلته وهو أن الشيطان إذا كان يدبر الكيان حقيقة فلا

يناجيهم بأكثر ما يصل اليه علمه من الحوادث الحاضرة وأما
المتقبلة فلا يعرفها غير روح الله القدوس الذي أوحى الي
من رجالنا الإقياء معرفة الغيب دون سواهم وأنا أضرب

في حولة الفرس التي ذكرناها في سياق الكلام كانت في عصر
الذي أتت به النبوة مذكورة مذلولة خاضعة تؤدى الجزية صاغرة لملوك
ومادى وما كانت توجد قرينة في زمن النبي تدل على أن هذه
الآيالة يأتي زمن يرتفع فيه شأنها وتسود على غيرها كما حدث ذلك
بعد بمائة سنة ولكن نبياً أخبر به بالروح القدس كأنه كان شاهداً
له وبلغ من قوة نبوته أن عين اسم الشخص الذي كان مزماً أن
يجرر الآيالة من عبوديتها ويكون على يده فتح الممالك العظيمة
قَالَ : (هكذا يقول الرب مسيحه لكورش الذي أمسكت
بيمينه لأدوس أعماً واحقاء ملوك أهل لافتح أمامه المصراعين
والابواب لاتفتق أنا أسير قدامك والهضاب أمهد اكسر مصراعي
الحسن ومعاليق الحديد اقصف وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز
التي لكي تعرف اني أنا الرب الذي يدعوك باسمك لقبتك وانت لست
في (اش ٤٥ : ١ - ٤)

قال المجوس بماذا يمتاز عندكم آيتها السيدة النبي الصحيح النبوة
خلافه سيما عن باقي الناس
قالت المدراء بجملة أمور (احدها) العفة والطهارة فلا يمكن



ان يستخدم الله القدوس الكلي الصلاح والخير والبر والطير مذمومة

السيرة وفاعل الشر لاعم مقاصده الالهية (الثاني) الله فاعلم

الذي انزل في النبي صلى الله عليه وسلم

من الله العدل المطلق الذي لا يظلم احد

السامية المناهضة والمرائين والمرشدين والجنباء والظالمين (الثالث)

ان يمنح الله لذلك النبي فعل المعجزات شهادة له على انه مرسل

منه تعالى الى قومه بمهام عظيمة (الرابع) ان يخبر بوقوع حادث

في الزمن المستقبل لا توجد لوقوعه قرينة في الزمن الحالي (الخامس)

ان يتم ذلك الحادث كما انبأه النبي في حياته او بعدها (السادس)

ان تتفق نبوة الانبياء على الانبياء بحادث مهم ولو اختلفوا

زماناً ومكاناً

قال المجوس أين النبوات المختصة بالماسيا ؟

فدعت مريم يوسف وقالت له خذ الاسفار بيدك واكشف

عني اولاً على النصوص التي تحدد زمان ولادة ابني وظهوره للعالم

في التكوين واقرأ من بركة جديك يعقوب لبنيه بركته ليهودا

والتي في سفر التثنية وقرأ ما ياتي (يهودا جرو أسد من فريسة صعدت

من جبل سينا ورجل يمشي على وجهه كاسد وكتبوة من ينهضه لا يزول قضيب من يهودا

يشتري من بين رجليه حتى ياتي شيلون وله يكون خضوع شعوب

(تك ٤٩ : ٩ و ١٠)

قالت مريم هذا النص الذي خاطب به جدي يعقوب ابي يهودا

مخبراً اياه بما يحدث له ولنسله من بعده بالسيادة التي يسموها على

ان يستخدم الله القدوس الكلي الصلاح والخير والبر والطير مذمومة

السيرة وفاعل الشر لاعم مقاصده الالهية (الثاني) الله فاعلم

الذي انزل في النبي صلى الله عليه وسلم

من الله العدل المطلق الذي لا يظلم احد

السامية المناهضة والمرائين والمرشدين والجنباء والظالمين (الثالث)

ان يمنح الله لذلك النبي فعل المعجزات شهادة له على انه مرسل

منه تعالى الى قومه بمهام عظيمة (الرابع) ان يخبر بوقوع حادث

في الزمن المستقبل لا توجد لوقوعه قرينة في الزمن الحالي (الخامس)

ان يتم ذلك الحادث كما انبأه النبي في حياته او بعدها (السادس)

ان تتفق نبوة الانبياء على الانبياء بحادث مهم ولو اختلفوا

زماناً ومكاناً

وقد تمت هذه الشروط في انبيائنا عليهم السلام

وبالاخص الشرط الاخير لانهم اجمعوا على الانذار بحجى والماسيا

الذي تشاهدونه

قال المجوس من صلحنا انتم صلحنا

اولئك الانبياء وقف منها خصومكم الذين اذعنوا

فبشرت بالماسيا ونحفظها عندنا ذخيرة بينة

قالت مريم ذلك بهننا اكثر مما بهمكم ومن صلحنا نحن

ايضاً وقد اعددنا لكم مجموعة من تلك الاسفار باللغة اليونانية

لانكم لا تحسنون معرفة لغتنا الممزوجة باللغة السريانية بسبب السوي

في اليوم تملك منه امرين...
 الثاني تحديد الزمان الذي يأتي فيه كما قسر الرايون وفهم ذلك
 تعلم يايوسف أن هذا الطاغية هيرودس القابض على صولجان يهودا
 ليس يهودياً بداعي أن أباه آدمي وأمه عسقلانية عن يوسفوس
 فقد زال باغتصابه الملك قضيب يهودا ولا أمل أن يحرز
 اسرائيل الا حين يجلس الماسيا على كرسي بيت يعقوب
 قال يوسف أعلم ذلك
 قالت مريم اطو السفر الذي بيديك وخذ سفر دانيال واذ
 لضيوفنا الاعزاء من الاصحاح التاسع عدد ٢٤ وما يابيه
 فترك يوسف السفر الاول وتناول الثاني وشرح هتس
 الاصحاح المقصود فلم يمتد اليه فتناولت مريم السفر من يده
 وفتحته بسرعة خزية وترأثت
 سيقون اسبوعاً قديماً
 لتكبل المصيبة وتتم الخطايا ولكفارة الائم وليؤتى بالبر الابدي
 ونظم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدسين
 فاعلم وافهم انه من خزوج الامر لتجديد اورشليم وبنائها الى المسيح
 الرئيس سبعة اسابيع واثان وستون اسبوعا يعود ويني سوق وخليج
 في ضيق الازمنة وبعد اثنين وستين اسبوعا يقطع المسيح وليس
 وشعب رئيس آت يخرّب المدينة والقدس وانتهائه بغارة والى النهاية
 حرب وخرّب قضى بها ويثبت عهداً مع كثيرين في اسبوع واحد وفي

اسبوع تبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الارجل من غرب
 (٢٤ : ٩١ د) وبم ويصب المقضى على الحرب (٢٤ - ٢٧)
 ثم قالت مريم ان هذه العبارة قلها الملك جبرائيل لدانيال حين
 كان يعترف بخطايا وخطايا شعبه ويطلب بالراح غفرانها وتجديد
 المدينة والهيكل وقد كان هو وأمه في سبي بابل الذي استغرق
 ستة سبعين سنة انعاما لنبوة ارميا (٢٥ : ١١ و ٢٨ : ١٠) ويوم
 ان يصل دانيال كان مضى معظم هذه المدة فظهر الملك في ختام
 وعزاه ووعد بهنجي الماسيا وعين لذلك مدهوي السبعون
 عا عبارة عن ٤٩٠ سنة حصرها بين حين أولها صدور
 ارميا في ارض محستا الطويل الايدي كما ذكر في (نج ٢) وما يتلوه الذي
 لتجديد بناء اورشليم سنة ٢٠ للملكه
 انا حسينا ٦٩ اسبوعا اي ٤٨٣ منذ صدور ذلك الامر نبلغ
 ٧٨٢ لبناء مدينة رومية وذلك بعد مضى ثلاثين سنة من
 ابي حين يصبر رجلا يستحق ان ينتظم في خدمة الجمهور وينتدى
 اسله الالهي وتأسيس مملكته
 وفي نصف الاسبوع الذي هو ختام السبعين اسبوعا ينير
 اليهود فتنة ضده ويقتلوه فيموت كفارة عن الخطية وتبطل بتقديم
 كفارة كل ذبيحة هذا هو الحد الثاني لتلك المدة
 ولا يمكن أن يراد بالاسابيع خلاف كون كل اسبوع سبع
 اثنان من الملاك قابل السبعين اسبوعا بالسبعين

سنة سني السبي وجعل مقابل كل سنة أسبوعاً من السنين

ثانياً لو كان المراد بها أسابيع أيام لصرح بذلك كما في (١٠ : ٢ و ٣)

ثالثاً أن المراد بالاسبوع عند اليهود سبع سنين كما قال لابن لابن أخته يعقوب (أكل أسبوع هذه فتعطيك تلك أيضاً) (٢٩ : ٢٧) ومعلوم أن المراد بهذا الاسبوع سبع سنين هو واضح من سياق الكلام

وتأييداً لهذا الاصطلاح عند اليهود في قوله تعالى (٢٥ : ٢٥) سأخطأ عليهم (حينئذ تتوالى الايام والسنين على رؤسهم وأنتم في أرض أعدائكم حينئذ تكلموا في سبيهم في أيامهم وأيام وحشتها تسبت مالم تصبته من سبيهم في مكنتكم عليها) (٢٦ : ٤٣ و ٣٥) ومعلوم أن المقصود بالسبت في هذا الكلام أسبوعاً من السنين كما هو ظاهر من (لا ٢٥)

ثم أشارت مريم الى يوسف قائلة خذ سفر ميخا واقرأ من أول الاصحاح الخامس

فأخذ السفر وقرأ ما يأتي (وانت يا بيت لحم افراتا انك صغيرة في ألوف يهوذا ولكن منك يخرج لي من يكون مسلطاً على اسرائيل وخروجه من القديم منذ الازل) (٤ : ٧)

قالت مريم له جوس قد تم الآن هذا الان كما نرون ان المسيح في بيت لحم بحسب كونه انساناً واما بحسب كونه الهاً فولاده من الآب

أزلية لا بد لها وانظروا كيف ان العناية الالهية حركت لتمام هذه النبوة الحكومة الرومانية فلم يخطر على بالها احصاء كل فرد من أفراد رعاياها في عشرينه ووطنه لما اصدرت تلك الاوامر بذلك ولو لم تصدر اوامرها لما اضطررنا ان ننقل من الجليل الى هنا بلدة جديدة داود فما اعجب هذه الاتفاقات

ثم قالت مريم يا يوسف بن داود اقرأ لهم نبوة حجي من (ص ٢) محمد البيت الذي بناه زر بابل الوالي فقرأ كما يأتي

(هي مرة بعد قليل فأززل السماوات والارض والبحر واليابسة يقول كل الامم ويأتي مشتهى كل الامم فاملاً هذا البيت مجداً رب الجنود لي الفضة ولي الذهب يقول رب الجنود مجد هذا بيت الاخير يكون أعظم من مجد الاول قال رب الجنود وفي هذا المكان أعطي السلام يقول رب الجنود (حج ٢ : ٦ - ٩)

قالت مريم طبعاً تجهلون سبب هذه النبوة لانكم لا تعرفون من أحوال أمتنا شيئاً لبعده بلادكم عن بلادنا

فاعلموا أن أمتنا كانت نبذت ناموس الله وأسخطته فبفضها وسلط عليها ملك بابل فسيهاها واخرب بلادها وبالاخص أورشليم فمكلمها المجيد الذي عمره وزانه بأفخر الزينات الملك سليمان بن داود ان موضوع افتخار أمتنا واعجابها أما أهل بابل فقد انزل الله عليهم الضربات والسكيات جزاء كونهم لما تسلطوا على قومنا برحومهم وبرقوا لهم وبرنوا للولاهم ولم يعتبروهم أمانة مودعة عندهم

اليوم الافتقاد والرحمة بل ذلوم وعاملوم بالتسوى واستعبودهم
حتى قيض الله لهم كورش الفارسي وانتقم لهم من اعدائهم اضحافاً
واكرم أمتنا ومنحها هبات وعطايا وامر ان تعود الى بلادها وأن
يبني الهيكل والمدينة

فلما بنى الهيكل لم يرق فيها نور
حينئذ بمنظر فخامة الهيكل الاول
ويترون الرماد على رؤوسهم حتى يسقط عليهم وارسل لهم
النبي حجي يعزيهم ويخبرهم ان مجد هذا الهيكل الحقير في اعينكم
يكون اعظم من الاول الذي كان يزينه الذهب والفضة فقط أما هذا
فيزينه مجد الماسيا الذي سيراه العالم فيه ماشياً ومتردداً ومعه أفاعلا
العجائب وموزعاً مواهب الاشفية هو وتلاميذه

فما اجهج ذلك اليوم الذي يقف فيه الماسيا مخاطباً الشعب
يدعوم الى قداسة السيرة وينذرهم بقرب الملكوت بل ما أفرح
ذلك المكان الذي يطاه بدميه ويقف فيه واعظاً والجوع من وراءه
وامامه وجانيه ترى وتسمع وتعطي المجد لله

الفصل الرابع

(١) العائلة المقدسة في الهيكل

(٢) في البرية هاربة الى مصر

(٣) قتل الاطفال

(٤) وقد اطالت مريم الكلام والشرح في هذه النبوة
ما حتى مل من السماع احد المجوس وانفرد الى ناحية وتوسد
بينه ونام وبعد مسافة ربع ساعة استيقظ مذعوراً وقال لرفيقه هلم
بنا نستعد للسفر قبل ان يدركننا الضرر من الحضر

فبهت رفيقه من كلامه واعتري جميعنا ذهول ولبثنا صامتين
كان الطير خيم على رؤوسنا ثم وقف وهياً للخروج واوماً الى
رفيقه فبعاه وخرجوا معاً وبعد غياب مدة ساعة عادوا الينا ونحن
نراقب حركاتهم وسكناتهم وقيل ان تستقر اقدامهم دنوا من
الماسيا وسجدوا له وقبلوه والدموع تندفق من آفئهم ثم تناولوا ايدي
والدته وقبلوها مشى وثلاث فحاولنا ان نقف على ما تكنه ضائرهم
فصل الى ذلك

ولما خرجوا أمرتنا أم الماسيا ان نشيعهم الى خارج بيت لحم
فما معهم مسافة ولما قصدنا العود دنا أحدهم من يوسف وهو
أشار عليهم بسرعة السفر وقال له احتفظ بحياة ملك اليهود
أزعه برعاك المولى

ثم ودعناهم ولبثنا في مكاننا برهة فمخدق انظارنا بهم وبديل ان
 يتخذوا في سيرهم طريق اورشليم اتخذوا طريقاً اخرى ولما غاوا
 عن نظرنا عدنا الى اللعارة واخبرنا بعضنا بعضاً انهم قد
 هلكوا في البرية اذ لم نجد احد منهم فالتفت الي
 بغير علم هيرودس الظالمية لئلا يفتقد احد من
 وجوده

قلت الاولى بنا ان نغتم الفرصة ما أمكن ونهرب بالماسيا ونجد
 في آثر الجيوش نطلب حمايتهم ونستجير بهم علنا نجد عندهم مأمناً وملجأً
 قالت مريم لا تقدر ان تحرك ساكناً بدون ارشاد الروح
 القدس فله عناية خصوصية يا وليائه كابرهم ولوط واسحق ويعقوب
 ويوسف وموسى وابوب ودانيال في اضيق مسالكهم وويخ من
 اجلهم ملوكاً قائلاً (لا عسوا مسحائي وبانيابي لا تمكروا) وهو تعالى
 قادر ان يقذف ابنه ولو كان في سجن هيرودس

الا تتذكر نجاة الثلاثة فتية العجيب من آتون النار فان كانت
 غاية الله ان نلث في اليهودية فانه لا يفتقر الى ان يخلصنا
 لنا مسرته . وانما الواجب ان نؤمن به ونؤمن ان
 نفس هذا الكلام في اعياننا في اليوم الذي نؤمن به
 ذكرنا نحن الصبي ودعاه يسوع ويوم ختام الاربعين يوماً منذ
 الولادة انطلقنا به الى اورشليم ونحن في رعب خائفين ان يفشو
 امرنا فانطلقنا ان ندخل المدينة منفردين يكون بين احدنا والاخر

ساعة عشرين خطوة

فسرنا على هذا الترتيب انا وام يسوع ثم من بعدنا يوسف ثم
 لانا ام يعقوب واخوته ثم اليصابات ام يوحنا
 ثم القديس من رواق سليمان ابصرت سمعان الشيخ الذي
 مر بنا ذكره في صحيفة ٢٦ يتمشى فيه منتظراً مجيء الماسيا فما
 حدق بي حتى اغرورقت عيناه بدموع الفرح وطفق يضحك مسروراً
 رافعاً عينيه مرة الى السماء وشفناه تتحركان واخرى الي حتى
 اقتربت منه فدخل قدامي الهيكل وانا اتبعه فلما سرت بضعة خطوات
 رايت بجانب مذبح خبز الوجوه عجوزاً تشكر وتبارك فالتفت الي
 الشيخ وقال لي هذه حنة النبية قد صار لها اربع وعمانون سنة لا تقارن
 هذا البيت تعبد الله يا صوام وصلوات وقد احست بالهام بمجيء الماسيا
 فدعاها قائلاً : افرحي يا اختي ابنة اسرائيل قد تمت مواعيد
 ملك اليوم ترى شهوة كل الامم منذ الآن يكون مجد هذا البيت
 من مجد البيت الاول لان الله يعطي السلام منه لكل الامم
 ابنت النبية : اتي اتيه عجبا واختال بثوب الفخر مع بنات جنسي
 خرج من نطفن من سحق رأس الحية القديمة
 وما اتمت النبية كلامها حتى وافت ام يسوع وعلى اثر دخولها
 دخل الباقي وكان ذلك وقت تقرب ذبيحة الصبح حيث كان قنار
 الذبيح يختلط مع دخان البخور واصوات تساييح اولاد هرون
 يرتفع الى السماء

مرم لابنك يا ولدي تأمل ما وعد به ابني شعبه (اني اقيم مظلة
خلود الساقطة وما هدم منه ابيه واجدده) فكفكفت العبرات
على سماع هذه العبارات

ولما صرنا على مقربة من قبر راحيل افرق منا الزابي زكريا
والصبايات واخت أم يسوع التي هي مريم كلاوبا أم يعقوب ويوسفي
ويهوذا (اخوة يسوع)

وما مرنا قليلاً بعد ذلك حتى صادفنا قطع غم فاحتلب الزاعي
ضرعاً وقدم لنا اللبن ضمن قسط فتناولت مريم القسط منه وباركت
على القطيع ثم سرنا وبعد مسافة قليلة بلغنا المغارة ولبثنا ننتظر يوسف
(٢) لم نلبث مقدار ساعة حتى ادركنا فدخل بلهفة وقد قرأنا
عن حياة شيئاً جديداً بدون أن يعلمنا به

على انه ما صدق أن ارتاح من مسافة الطريق حتى اخرج من
شجرة دنانيز وطلب الي أن اشترى بها ركوبة وطعاماً للسفر
وتبعتها في طريق غرة والعريش وقال الحذار من التأخير

فادركت على الفور سر قلقة وخرجت مسرعاً وفي أقل من
نصف ساعة اشترت كل ما هو لازم وسرت اعدو مريداً ان
ادرك العائلة المقدسة لكي لا ادعها تتعب من المشي على الاقدام
وما سرت قليلاً حتى لاحتها عن بعد ثم توارت ولم أعد اراها
حتى اقتربت منها لانها كانت تظن اني عسكري مرسل من قبل
الطاغية للقبض عليها ولما آنست مني ظهرت

قدم الشيخ سمعان وطلب مني ان اكون معه
متمسكاً أن يحمله من رباط الجسد ثم قبل مني من امره وما
يلحق والدته من النكبات والاحزان وتعلمت حنة وتناولت الطفل
من يد الشيخ وهي تذرف عبرات الفرح وتكلمت عن مستقبل
ملكوته وعمما يصادفه من العراقيل والمقاومات

ثم لبثنا مدة في الهيكل الى أن أعما الفروض فخرجنا من
الهيكل ولما بلغنا باب دار الامم تذكرت الشيخ فوقفنا افش عليه
بين اللارين ولما اجتاز الجميع ولم يكن بينهم ظننت أنه تخلف عنده
النية فعدت الى الهيكل بسرعة واذا به واقف أمام مذبح الخور
وقد فارق الحياة فاعتممت جداً ودعوت النبية لكي تعني بامر
وتدعو اللارين أن يكفونوه اذ كان قصدي ان احرك العائلة المقدسة
فلما أدركتها دعيتي أم يسوع وقالت عليت ان شيخنا لا

قد رقد بالرب وطارت نفس الاربعة
التي هي في الجسد فلابس مني
زكريا اوليوسف بن داود أن يعود اليه ولا يدعه حتى يواريه
ترا به لان كرامة الميت دفنه

وكان يوسف بالقرب مني فاشمرته بالأمر فامثل له وعاد على
عقبه ونحن سرنا بسرعة

وفي أثناء سيرنا مررنا على قلعة داود فالفيناها قد تداعت الى
السقوط فتذكرت مجد ابائنا الذي عشا به الزمان وبكيت فقالت

ثم ركبت مريم ومعها يسوع وسرت انا ويوسف وراءها قلت
له ما حملك على أن تشدد علينا امر السفر ولم تدعنا ان نترود من
معارفنا واقاربنا خصوصاً وقد صار شأن يسوع مشتهراً ومن يعلم انه
كان هربنا به يوجب له الحطه في اعين الناس ؟

قال : ان ملاكاً وقف بي في رؤيا الليل وقال لي (قم وخذ الصبي
وامه واهرب الى مصر وكن هناك حتى اقول لك لان هيرودس
مزمع ان يطلب الصبي ليهلكه) والاعجب من ذلك اني
وقفت امام قدس الاقداس ظهر لي طائفة من ملائكة
بالرخيل ولا توان : وفي مثل هذه الاوقات
الاخبار والاشرار

ثم دعيت مريم بجانبها وجعلت تعص علي من حوادث الجبل
تسبيلاً لتقطع مسافة الطريق قاتلة

: حين خرجت من خدمة الهيكل وعقد لي اكيليل الزواج
الرابي شمعون على يوسف بن داود توجهت الى خاصته ومنزله في
الناصره مع انه قبل ذلك خرج من في يمين العفة عن يد الرابي
زكريا وحنة النبية وقد رضيت بالعقد لاعتقادي بكمال يوسف
وعفته

ولما كان اليوم الخامس من وصولنا وذهب كل من اللدعيون
الى حال سبيله قلت ليوسف
: لا اكم عنك مكنونات الفؤاد التي دون كتمانها لغيرك

الفتاد وهي اني قد نذرت العفة ولا سبيل الى فك النذر باية صفة
ففهم حالاً مغزى كلامي اني اريد ان اكون زوجة له في كل
شيء ماعدا الفرشة ولذلك اندعر واجاب

(ان نذرك هذا يا مريم مخالف لسنة الزواج يفك العهد والعقد
الذي تم على يد محفل مقدس والتوراة وكاهن الله)

— حملك يا يوسف . ان الزواج يقترض العهد حين تجتمع
مروط النسبة والاتفاق وتبادل العواطف وهذه المزايا لم تتوافر

— اترك لي المراح ان بركة الكاهن لا عظم برهان على ان كل
شيء يتعلق بامر الزيجة قد تم ولم يبق عائق يمنع الاجماع للقدس
— سلمت لك بقوة احتياجك لكن انا لم اقبل بركة
الاكيليل على غير تلك النية

— ان النذر لا يحسب لك الا برضى ولي امرك
— اي نعم وقد كان وقتئذ ولي امري الرابي زكريا
— اعلم ان كل شجرة لا تثمر تقطع وتلقى في النار ويبقى
اسمها للعار

— اعقل ما قال اشعيا : لا يقل الخصي انا شجرة يابسة لانه
كما قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون
السرني ويتسكون بهدي اني اعطيهم في بيتي وفي اسواري
اسماً وافضل من البنين والبنات اعطيهم اسماً ابدياً لا يتقطع

(اش ٥٦ : ٣) فإذا تقول عن استاذتي حنة النبية التي مضى عليها وهي ثيب ٨٤ سنة وقد تركتها في الهيكل تعبد الله باصوام وصلوات ليلاً ونهاراً

فمعد هذا الكلام سكت يوسف برهة ثم قال ما دام الامر كذلك لا اجد بدأ من قبولي ذلك

على عزة قمت ليوسف : دعني اركض لبيبي اجد مكاناً ازيد من الوقوف في ساحات المدينة وشوارعها

قال : من يعلم ان كان يعاملنا اهل هذه المدينة معاملة اهل بيت لحم يوم قدمنا اليها من الناصرة ولم يقبل احد ضيافتنا فاجبته : ان غرة مستعمرة للرومان والعربان الذين اشتهروا باكرام الضيف

قال : اذا اركض امامنا

فركضت ولما صرت على مقربة من المدينة ولم يبق بيني وبين بابها سوى بضعة امتار خرج منه هجان فحذقت النظر بوجهه واذا به احد عبيد الجيوس وبجرد ما سالت عن الطريق الموصلة الى كورثا وعرفني بياني كلعج البصر فالتفت اليه

فقلت بالمرام

قلت : ابن اسياذك ومجد اجدادك

قال : لقد ساروا من هذا الحلي يطوون البيد طي

قلت : ماذا اعاقك عن السفر يا ابا الفخر

قال : معالجة دائي الذي هو اكبر اعدائي فقد انققت الاموال

من الارض المضال

قلت : اقتحنا وقت الشفاء من هذا الداء

قال : من ذلك الطيب الماهر يا ابا الفخر

قلت : ذات القدس الزاهر والمجد الباهر

فادرك بسرعة خاطره اني اعني ام الماسيا وقال اذا يلزم العود

الى ام المعبود

قلت : قد صارت على مقربة منا ومعها يوسف وقد سبقت

لاعد لها مكاناً فتعال ارشدني الى موضع

قال : ماذا حملها على الخروج وركب السروج

قلت : الخوف من بطش هيرودس فان ملاكاً ظهر ليوسف

وامره بالهرب ببسوع وامه الى ارض مصر

ثم عاد بي الى المدينة وارانى موضعاً وما صدقت ان وجدت

معي فقلت على الامر لكي ارشد العائلة القدسة اليه ففعل

بحسنه وادركني فلما رأنا ام يسوع تعجبت من سرعة

الموضع واستشرت بان طريقنا ستكون سهلة

ثم جئنا معاً الى ذلك الموضع ولما أخذنا تمام الراحة قدمت

الى أم يسوع باحتشام وتوسلت اليها ان تضع عينيها على رأس السيد
وتباركه ففعلت وللوقت شعر بالراحة وكف الألم عنه وشكر الله
وطلب ان يراقبنا بصفة دليل وسلام في كل وقت والى القديس
الذي كان يقرأ كثيرا في كتابه وكان يقرأ كثيرا في كتابه
وكان يذنا ان نمك في عزمهم يوم يسوع

كل وقت على السقر فسافرنا في اليوم التالي
ولما كنا مزعمين ان تقطع اربع مراحل في الصحراء او عز
الي ان اشترى مؤنة وافرة

فخرجنا من غزة ليلا في الهجمة الرابعة والقمر بدر والجو رائق
والنسيم رقيق وما ابتعدنا قليلا حتى انهار الليل وطلع النهار وبدأت
تلعب الغزالة في النضاء وترسل اشعتها الى الغياض والرياح وتعطي
تلك الهضاب والبطاح المكتسية بأثواب من الزهور اشكالا والوانا
تسر الناظر وتبهج الخاطر

وكنا نسير في تلك البرية سكوتا لا نسمع غير نغمات الطيور
على رؤوس الاشجار والصحور والنباتات والاشجار والنباتات
والاشجار والنباتات والاشجار والنباتات

وكان للأسيا غارقا في سنة حجة فلما استيقظت عيني
وأستأنفت قصتها قائلة

لم تمض بضعة اسابيع على تلك المحاورة التي جرت لي مع ابن داود
حتى حدث ان ملاكا وقف بي اثناء صلوة الهجمة الثانية من الليل

وانا أرتل مزموذ (الرب يرعاني) فاستنار المكان من بهاء طلعتته
اشتغلتى سرور عظيم من رؤيته اذ كنت معتادة على مثل هذه
الظن في الهيكل حيث كانت تظهر الارواح العلوية لاستاذتي
بعض اولاد هرون واسمعهم ينشدون الاغاني داخل قدس
القدس

ولكن قد حيرني سلامه لي وكلامه بقوله : السلام لك يا ممتلية
نعمة الرب معك مباركة انت في النساء دون سائر ربات الحدود
وساكنات المعمور من القصور :

وزادني حيرة حين اردف السلام : بهذا الكلام (انك تحبلين
وفي البطن تحملين) ما جعلني ان اشك في كوني يقظة واحال اني
غارقة في نوم ثقيل وأرى رؤيا وما زلت اراجع ذاتي حتى ايقنت
كلامي في يقظة تامة وبالاخص حين قال (ان الولد المزمعة ان ألدته هو
الخلص هو الذي يكون عظيماً بهذا المقدار حتى انه يدعى ابن الله
وعليك على بيت يعقوب الى الابد ولا يكون للملكه نهاية)

فاعول لك يا ولدي بالحق انه لم تمد في قوة للاحتمال واصبح
من رابع المستيعلات قلت للملاك : كيف يكون
هذا الخبل بلا رجل ؟ :

فلم يتكدر الملاك من سؤالي ولا اغتاض علي كما كان اغتاض علي
الرابي زكريا يوم بشره بمحمل زوجته بيوحنا فعاماتي بالركة والالطف
وطول الروح وشرع يحاججني قائلا

اللام فيما للمجب لا اعلم لذاك من سبب

قالت: اعلم يا بني اني انطلقت بعد انصراف الملاك الى الوطن والاملاك الى جبال يهوذا حيث كان يسكن الرابي زكريا في عين كرم ولم اخبر بهذا السفر ابن داود الذي لم اعد مكلفة من قبل شروط الزواج ان اعلمه بكل تصرفاتي لاني صرت له رفيقة ومن عبودية الزواج عتيقة

ما علينا بعد ان سافرت السفر الشاق بدون أن أروي ساقاً على ساق بلا زاد ولا رفاق أدت بي خاتمة السفر الى الحي المشتهر بالزل المعبر فادهشني كلام العاقر لما فيه من المعنى الباهر فانه حامله استعجاباً صوت السلام ردت علي بوقار واحترام قائلة: من أين لي هذا المقام أن تزورني أم رب الأنام لأنه مذ وقع في أذني صوت كلامك ورقيق كلامك تحرك الجنين حركة سجود لمعبود وركوع لربهم صيرتني أن أعلم انك حامله بخالق الأجنة فيا لوفور شرف

ثم أخذنا نتجاذب أطراف الحديث ومنتقل من أخبار العهد القديم الى الحديث وتحدث في عظام الله وبيننا نحن كذلك قدم علينا الرابي فتبسم وسلم بدون أن يتكلم ثم صعد الى عليته فلما رأت اليصابات على محياي علامات الاندهاش لعدم مكوث الشيخ معي برهة قالت لا تعجبي يا أم الرب فان الرابي مربوط اللسان لا يجد سبيلا للنطق والبيان

(الا تتذكرين يا صبية يورثي جبل) وهو ابنة تسعين سنة حين انقطع عنها حاجه النساء وان لم تتذكرين ذلك الجبل بالعجل فهوذا اليصابات نسيبتك العاقر المعجوز حامله غلى خلاف المجري الطبيعي)

قالت: لا شك ان هاتين الحادثتين عجيبتان لكن ليس فيها ما يناسب كلامك لان شروط الجبل فيها وان كانت ضعيفة لكنها متوافرة

قال: يا مريم اني لم اجي. من جاء لجذتك حواء. بشر من الشجر بل جثتك بصدق الخبر جثتك بقوة الحجمة وصدق البيان لا بالكلام والطفين فلم تكن عصا الكليم لها قوة ان تحيي العظم الرميم ولا ان تدع مياه البحر الاحمر كالجلد او تفجرها من الصخر الصلب اعلمى يا بقول ان بشراي لا تقوى على ذلك المعجز بل لا يمكن بالعيان على الايمان فليقبول المعقول في ذلك بل لا بد ان يصدق كل من قبل ان يصدق كل ما في الكتاب ان يكون ابا المؤمنين:

اما انا يا ولدي فلم يبق لدي داع للازتياب في ان المبشر رسول رب الارباب فاذعنت لقبول المعقول وما اجبت بالارتياح حتى زالت غني الاتراح وشملتني الافراح وما صدق ان سمع مني القبول ذلك الرسول حتى تخلق في السحاب واختق عن العيان في الضباب قلت لمريم: ذكرت في سباق الكلام ان الملاك اوسع زكريا

فزادني اعجاباً فوق اعجاب الى طلب الاسباب فقالت : قد
 اخبرني كتابة على هذا اللوح الذي ليس لنا وسيلة الى الاخذ
 والعطاء معه سواء انه ينما كان يخدم في توبته ويقدم بخور ذبيحة
 المساء ظهر له ملاك اسمه جبرائيل وبشره بما تربيته في بطني الآن
 من الامتلاء والحل الذي كنا نكثر من أجله الصلوات والتضرعات.
 فلم يصدق البشري فغضب جبرائيل عليه وحكم أن يكون آخر من
 الى ان يتم قوله بالفعل ووعده بالتمام وما كاد الملاك ينطق بحكمه
 حتى ثقل لسان الكاهن وارتبط ثم خرج الى النسيان لا يتردد
 نطقاً ففهم الشعب انه رأى رؤيا البسه الضيق فاستغربوا
 هذا يا ولدي ما حدثتني به الصلوات التي جعلت حشيتك تهتز
 في منزلها

ولم تم عبارتها حتى قال العبد المجوسي قد أقبلنا على العريش
 أول حدود مصر فنظرت الى الامام واذا نحن على مقربة منها
 فاشتغلنا عن الكلام بمنظر أبنية المدينة وقصورها الشاهقة ورياضها
 الباسقة

فدخلنا المدينة واستأجرنا غرفة من وكالة بجوار السور لها
 نافذة منه فنظرت منها الى الطريق الذي جئنا منه واذا بخادم الرابي
 زكريا يمدو نحو المدينة فشعرت انه جاءنا بأمر ذي بال فلما اقترب
 الى السور أشرت اليه لكي يهتدي بسرعة الى مكاننا ثم أخبرت
 أم يسوع ويوسف بالأمر

ولم تمض بضعة دقائق حتى وافى الخادم وناول أم يسوع رسالة
 مختومة فتناولتها من يده وفضت ختمها وما قرأت بعض سطور
 منها حتى اغرورقت عينها بالدموع ولم تعد تقدر أن تملك اللاميا
 في حضانها فأشرت الى يوسف فأخذها منها بسرعة

فصارت الافكار والهواجس تأخذ بنا وتعطى فذنوب من
 يوسف قائلاً يظهر من كآبة أم يسوع ان الصبايات رقدت
 فقال ربما كان يوحنا لان موت امه لا يهبج في مريم هذا البكاء
 ثم تركت الرسالة واسترسلت في النحيب فما القتها حتى التقتها
 فالتفت انظرها بقلب يحنق واذا بها (من الشيخ زكريا الذي وهنت
 عيناه وعلا غبار الهرم وجهه ودنا من ابواب الموت وعماء قريب
 ينزل الى الهاوية حزينا الى مريم في الجلاء . سلام

اعلم يا ام يسوع انه بعد اتمام فرض التطهير بيوم تلبدت
 سماء بيت لحم ونحوها بالغمام والقتام والظلام وتحول نهار سكانها
 ليلاً وليلمهم حجياً وانقلب فرحهم الى حزن وفرجهم الى ضيق
 ورقصهم الى ندب واشتمل كل نفس الرعب والجزع ولبست النساء
 ابواب الحداد والسواد واشكل اغلبين

وسبب ذلك هو ان هيرودس بقصد ان يهلك يسوع ارسل
 جنوده وأمرهم ان يحاصروا في ساعة واحدة كل بلد من تلك البلاد
 ولما قتل الحشد ذلك هجم نصفهم على المنازل واختطفوا الصبيان
 والاطفال والرضعان من على اكتاف الامهات واغمدوا فيهم السيوف

فشقوا بطون البعض وشرطوا طفلاً نصفين وقطعوا رأس غيره
وضربوا به عرض الحائط ورفعوا غيره على الأسننة وتركوا الجثث
مخضبة بالدماء

وهذا البلاء يقف دون وصفه القلم ولا يستطيع ان يدرك بشاعة
ذلك للشهد وفضاعته الا من شاهده وقد ذهب ضحية هذا البلاء
كثير من الحملات حين حملتهن الشقيقة على الاضراس الحادة
والرؤس التي القوا بها فكانت كل امرأة منهن اذا كانت
تستحي وتعتكف بها وبولدها وتحميها وتحميها وتحميها
للمصاب لانهم حاولوا عبثاً ان يدافعوا عن امراضهم اذ كانوا بلا
اسلحة لحدوث الواقعة بغتة فدحرمهم العسكر واذلهم والقوا كثيرين
منهم على الارض صرعى وهكذا عمّت البلوى ودمرت اغلب البلاد
وقتك بالعباد .

اما يوحنا والدته فلا ادري ما اصابهما فانك تعلمين ان في
منزلنا نجياً تحت الارض تنزل اليه بدرج فلما ابتدأت المذبحة انزلتهما
فيه ثم قفلت باب الدار وانطلقت الى ازقة البلد بأمل ان الطف من
مصابها بما لي من الحثية في بلاط هيرودس فلم يجد مسعاه نفماً
لان الجند كانوا يخطفون الاطفال كما تخطف الوحوش الكسيرة
الفرنسية وتنقض على الوالدات كانهن ذوات الجسد الضعيف
فلم يلتصقوا الي كريمة كاهن وامير المؤمنين فماتوا
والقلم يتعنى الصبر ان يفتني من يفتني

كأرم توج في بحر بلائها وانطلقت الى اورشليم وكنت أرى ما يقشع
منه البدن من ربات الخدود القارعات الصدور والحالات الشعور على
الظهور وما صدقت أن وصلت العاصمة حتى توجهت الى سراي
الطاغية فالفيتها يداعب ابنة الكروم ويده رباب يردد أغاني الخراب
فحاولت أن أدخل اليه من الباب لارى ماذا يكون الجواب فمننى
الجواب وقال لي العسكرها هو يسكر فتركته وانطلقت الى رؤساء
القسم في مجون وجنون ولعب وهكذا عدت بصفة القبول
بوع تنيل على الحديد من تحت الجفون

ولما دخلت المنزل دعوت اليصابات فلم تجبني فنزلت الى الحبا
فلم أجدها فخرجت وفتشت عليها في غرف البيت فلم أجدها ولا
لابنها اثرأ ومن ثم عيل صبري واعتراى الحزن فقبضت على القلم
والورق وحررت لك هذه الرسالة بما جرى لتقاسمى حزن
الشيخوخة وشقاها . وها أنا أحم الرسالة بين سماع زفرات الرجال
والنساء المتصاعدة من كل جانب)

وفي اثناء قراءتي لخطاب زكريا الخاوي تفاصيل نكبة بيت
لحم وتخومها بقتل الاطفال وسفك دماء الرجال وهتك الاعراض
وسلب الاموال . كانت مريم قد كفكفت الدمع المدرار وتجلدت
بالحزن واورشليم وصلت وركعت ثلاث مرات ثم طلبت الى
السوق فحضرت لها ادوات الكتابة فاحضر من السوق قطعة
من البايروس ومداداً وقلماً فتناولتها من يده وكتبت

من أم يسوع في شتات مصر الى الراي زكريا . سلام

لقد رمينا بسهام الحزن فادمانا وايماننا وكوي نوار الاسبى مؤاننا
وشوانا وأعيانا وذلك بالرسالة التي سردت في تلك الايام الفاضلة
وتفصيل النكبة المفزعة فتشخصت ايامنا تلك في السنة المباركة
التي فيها لم يوجع عيشنا طرناك الحزن بل انما وجدنا في ذلك
ووددنا لو كنا حاضرين لحققنا من اشجاننا وحرارة ودموعنا
ولطفنا سمير عويلك وشهقاتك وقد مثلت لنا ابا الاسباط وهو
يندب يوسف الحبيب حين صدق انه وقع بين مخالب الذئب
فمهلاً أيها الراي الصديق كن صبوراً على هذا الضيق فلا بد
لرجال الله البتلين من فرج ولو اوقعهم الدهر بين القوم الهمج
واذا بليت بنكبة فاصبر لها * هل قدرأيت مسلماً لا ينكب
وكما شاهد ابو الاسباط يوسف في مصر سوف تشهد يوحنا
وامه في هذا العصر فلا تظن ان العناية تركها مع ادراج الرياح
وتفقد بهذا الظن كل بر وصلاح بل ايمن انها على قيد الحياة لا مع
رفات الاموات وغاية ما اعتقد ان امه الحكيمة توارت به في كنف
جبل عال عن أعين رجال بلعام ففهم على الرعي والاسباط
التي كانت تربيها في تلك الايام الفاضلة
فختمت هذه الرسالة وطونها ودفعها الى الخادم وزودته مؤنة
الطريق وامرته ان ينطلق الى سيده بمجنح السرعة

الفصل الخامس

- (١) العائلة المقدسة في مصر
- (٢) سقوط الاصنام ومؤامرة الارواح الشريرة
- (٣) جدال مريم مع اميرة في عين شمس
- (٤) رجوع العائلة المقدسة الى فلسطين
- (٥) وما خرج الخادم حتى قال يوسف ان هذا الحادث الفجائي
يحملنا على سرعة السفر ما امكن فدعا العبد وامره ان يتخذ في السفر
طريقاً غير مسلوكة ليكون في أمن مما عساه يفعله طاغية اليهود بارسال
فرقة من الجنود لتقتني اثرنا في سفرنا . فسمع الامر طائعاً وما جن
الليل حتى خرجنا من العريش بعد ان تحصلنا على تذكرة المرور
يشق النفس ودفعنا كية وافرة من النقود زيادة عن المقرر وذلك
لعدم معرفتنا بعوائد اهل البلاد
وما ابتعدنا قليلاً عن المدينة حتى مال بنا العبد عن جادة الطريق
وصار يخط في الفيافي سائراً على هداية النجم كما هو شأن الاعراب
في اسفارهم . ومن حسن الطالع انه قادنا في سبيل لا تعاريج فيه
وذلك وصلنا بسرعة غريبة الى مصر واشرفنا على غياضها ورياضها
التي كانت لنا اسباطها الأخضر وترعها وخلقاتها وجداول مياهها
مخصوصاً بحيراتنا المتسعة التي رأينا اسراب الطيور تحوم كغيوم
كشيفة غلى وجبها والناس بازدهام على شواطئها لشراء هذه
الطيور من صيادها الذين يصطادونها عادة في الليل وقد حدثنا

العبد عن هؤلاء الصيادين قائلاً انهم بقايا من انسال الهكسوس أي
 للملوك الرعاة الذين سادوا أرض مصر وجعلوا قصة الملك تل بسطة
 الآن . وفي زمانهم نزل بنو اسرائيل الى مصر ولما انقرضت وقام
 بدلها دولة مصرية اذلتهم حتى افتقدتم الله بالمرحوم وخلصهم بيد قوية
 وبعد ان سرنا على سواحل هذه البحيرات مدة وابتعدنا عنها
 مسافة وصلنا الى تل بسطة حيث وجدنا بقايا مدينة عظيمة تدل
 على ما كانت عليه من المجد والعظمة حين كانت عاصمة الملك فاصبحت
 الآن كياناً واطلالاً يحتم الاعراب على خربها ويعيش اليوم
 والوطواط فيها وتأوي اليها الوحوش والحشرات وفيها آثار الهياكل
 والاصنام المحسمة والقبور القديمة المبنية من الطوب اي اللبن الذي
 كان المصريون يستخدمون اجدادنا في عمله وشغله .
 وما صدق العبد المحوسي ان وجد قوماً من قبيلة يعرفها كانوا
 مخيمين فوق تلك الاطلال يرعون جمالهم واغنامهم حتى قصد ان
 نزل ضيوفاً عندهم يوماً لاخذ الراحة من عناء السفر وقد قال لنا ان
 لاخوف على نزيل مصر لانها كانت ولا تزال مأوى للغريب
 خصوصاً انتم الذين يكثر من جنسهم فيها .
 فعبونا على اشارته ورضينا ان تستقر اقدامنا في ذلك الموضع
 اكثر من يوم مادام يطيب لنا المقام ويند المناخ والعيش على شرط
 ان لانكف اولئك الاعراب مؤنة ولكن هؤلاء الذين جلبوا على
 ان يقرروا الصيف ان وافهم في شتاء او في صيف مارأونا حتى

احضروا لنا رغماً عن ارادتنا لبناً وزبدة واسماكاً مقددة
 - (٢) ولما كان من دأبي ان استطلع كل امر محبوب ما صدقت
 ان اكلنا مريباً وشربنا هنيئاً حتى انفردت عن الخيام وشرعت
 اجول بين مجاهيل تلك الآثار عسى ان أقف على سر من الاسرار
 وبيننا أنا أطغر من مرتفع الى وطاء اهتزت الارض تحت قدمي شمالاً
 ويمناً وظلت تتأرجح نحو خمس دقائق حتى اعتراني الدوار ووقعت
 على الارض وبعد ان عدت الى ذاتي سمعت اصوات نجيب ووعويل
 ودمدمة واين فطرق في بالي فكر ان الارض انشقت وأبتلعت
 قبيلة العرب ولكن لم أشك في ان العناية حفظت العائلة المقدسة
 بنوع عجيب

وبينا انا افكر بذلك وانا راجع لا فتقد الحي صادقت باباً
 كشفت الزوينة الرمال عنه وكشفته فوجدت مرسوماً على جانبيه
 واعلاء اشكال اتناس وطيور وحيوانات وادوات وحشرات فعلمت
 ان ذلك كتابة هيروغليفية يستعملها السكنة خلاف العامة الذين
 لهم خط مخصوص ولما صرت قرب الباب تبين لي انه يؤدي الى
 هيكل أصنام قديم فما صرت في وسطه حتى وجدت ان تلك
 الاصوات كانت خارحة منه لان الشياطين حدث لهم ملا وقع الرعب
 والفشل فيهم وتركوا مرا كزهم واركنوا الى الفرار
 ولم يسكتوا حتى انعيهم العويل فجعل كل واحد منهم يقص
 مصابه في غيابه فاشتد بي الشوق الى معرفة هذه الحادثة التي رأيتها

مرة في حياتي ولذلك جلست في ركن صامتا
 فقام أولا الثعبان القديم صاحب الغواية في البداية وجعل مخاطب
 فيهم ويخبرهم على الثبات ويحث فيهم روح النشاط والطاعة لاوامره
 في كل ساعة فاستبرقت مناظرهم وعلت أمارات الرضى وجوههم
 وابتمت نخورهم وبعد خطاب طويل جلس على منبر عال كان معداً
 له ودعا أمامه ولاية الاقاليم وقواد الجيش واركان حربه فنادى
 اولاً ولاية ثيبة واصوان قائلاً: تعالوا يا ارواح عمون ونوت وخوتس
 الذين أخضعوا بيطشهم البلاد واستولوا على رقاب العباد في كل
 واد قصوا علي ما أثار قواكم دون سواكم

فندم هؤلاء الولاة بلا مبالاة وقالوا: يعيش الملك فوق الفلك
 اعلم ايها السيد المجيد صاحب الرأي السديد والفكر الرشيد أنه بينا
 كنا تقتبل من ايدي العباد ضحايا الاعياد وقمت تماثيلنا الضخمة
 على الارض وهشمت في كل فضاء وعرض فاندعرونا وقررونا

فلما قالوا ذلك اشتلمهم العبوس فطيب خاطرهم وامرهم بالجلوس
 ثم دعا ارواح اوزيريس وايسيس وهورس وولاية منف وسألهم
 مثل الاول فاجابوه بان ما حدث لهم هو عين ما حدث لزملائهم
 فامر لهم بالعودة بعد السجود

ثم دعا فتاح وسخت وامنحوتف فقالوا ذلك وفي آخر الامر
 دعا النائب الملكي العام وهو روح ايبس وكان منظره منظر ثور
 على جبهته بقعة بيضاء اشبه بزاوية وعلى ظهره صورة نسر وتحت

لسانه صورة جعل تحتها حين تقدم قدام الرئيس وصار يخور متوجعاً
 مما ألم به وكان شعر ذنبه مضاعفاً

فلم يسمع من ايبس خلاف ماسمع من كل الولاة ولذلك دعا
 بالجواسيس وامرهم أن ينتشروا في كل مكان ليستطلعوا الاخبار
 والاسرار فخرجوا بسرعة وبعد أن غابوا مدة حضروا والاصفرار
 يعلو وجوههم فاحنوا هاماتهم علامة الاحترام والاكرام وقالوا
 اننا وجدنا في هذا المكان (الذي طالما تقدمت لنا فيه النذور
 والعشور وانشرحت منا الصدور في حفلات السرور من ربات
 المدور) فتاة راق منظرها وورقت تحتضن طفلاً ينبعث النور من وجهه
 وشكل هذه الفتاة شكل اليهود وفي خدمتها زنجي من السود
 ولما تقدمنا اليها اتقض علينا ملاك كبير خطب أو اعجب وصوب
 نحونا أسنة الحرب ونهياً للضرب فارتعبنا وهربنا فلا بد ان هذا
 المولود من نسل داود الذي يتوقع اليهود ان لا يأذوا لسواه الجزية
 والسجود

قال الملك: الآن تأكد عندي كالشمس ما قاله لي قائدا التحديف
 وسفك الدم بالامس من أن الفتنة التي اشعلنا جذورها في نخوم بيت
 لحم من تقطيع الاعضاء وتمزيق اللحم لم تأت بالغاية المقصودة والفضالة
 المنشودة لأن المقصود من سفك دمائه قد اقتذته ملائكة سماه
 والآن لا يرتاح لنا بال ما لم تقبض عليه كخروف ضال في أحد
 الجبال. فعليكم أن تسلكوا الطريق وان صاق الى سفك دم

الصديق قبل ان يسود الافاق

فاجابوا : نعم الراى الرشيد انها السيد المجيد ولكن على فرض
ان خلص من القفص ماذا يكون العمل باموضوع كل رجاء وأمل
قال : نصلي قومه بنار جامية ونثير عليهم حرباً دامية او نمزقهم
كل تمزيق ونوقعهم في كل هلكة وضيق او نعلم رؤسهم كما علمنا
يلعلم ان يغوروا بالتيه في دركات الظلام . فالتى كذا هنا الراى
السديد كل طريف وتليد وقام للرقص والقصف والغناء والعزف
(٣) فما وقتت على هذه الاسرار حتى اركنت للفرار في
تلك القفار وسرت على عجل بلا ملل الى حيث ام يسوع واخبرها
بامر سقوط الاصنام فاشارت الى ابن داود ان يحضر سفر اشعيا
فاحضره ففتحته ودلتي على المكان المكتوب فيه هذا النص :
هوذا الرب يركب على سحابة ويدخل مصر فتترزل اوثان مصر
من وجهه ويدوب قلب مصر في داخلها (اش ١٩ : ١) فمجدت
الله على انجاز مواعيده واتمام مقاصده

ومن الغد سافرنا وتوغلنا في داخل البلاد وجلبنا اماكن كثيرة
أخصها جبل قسقام زمقارة بجوار قصر الشمع ثم المطرية وقد مكثنا
في هذه عدة أيام جرت فيها لام يسوع محاورات مع أميرة مصرية
كانت تعرفت بنا ووضعت لنا وليمة فاخرة وقد تعلقت بحجة البصبي
يسوع وكانت تسر بحياه الباسم وتغره الضاحك وطلعت المحبوبة
وقد روت لنا مريم مختصر تلك المحاورات قائله

ان الاميرة دعنتي ذات يوم ان احضر معها في هيكل عين
شمس لاشاهد احتفال عيدى با كوس والزهرة من آلهة اليونان
لان اباهما كان فيلسوفاً منهم تخرج من مدرسة عين شمس وامها
من سلالة الملوك الفراعنة المطالين يسرير الملك

فاجبت دعوتها بقصد ان اقف على عوائد الوثنيين وأرى الفرق
بين مجد الهنا من مجد الاصنام الخادمة فلما دخلنا قربت لصنم با كوس
الخور ممزوجة بالعطور وصارت ترتشف منها هي والنساء حتى سكن
ثم انطلقن الى حيث صنم الزهرة فمسكن بايدي عشاقين
السكنة وصرن يرقصن ويتصفن معهن حتى أعبي الجميع ثم جلسوا
على مائدة الطعام فاكوا ما لذ وطاب وملا الاوطاب

فانقبض صدري وقلت أين زاهة كنية اسرائيل وشعبه
الظاهر النبيل من شرهه هؤلاء الذين يظنون انهم يقربون من
آلههم بشراههم وعربيتهم ؟

وقد عجوا لعدم مجاراتي لهم في أعمالهم ولما عادت الاميرة
الى منزلها وانفردت بها ذكرت لها تلك الخلاعة الفاقدة الحشمة
وشرحت لها ان ذلك ناجم عن قساد اعتقاد ذويه وعدم استقامة
مبادئهم الدينية لتوهمهم بالوهية الاصنام . فاستاءت الاميرة من
توبيخ مريم وكبر عليها الامر لاعتقادها بذاتها انها زوجة فيلسوف
مطلع على غامض الحقائق لحاولت اثبات كون الاصنام الهة حية قائله
احذري يا مريم بطش باخوس الهنا العظيم الذي تدعين عليه

بالعدم واتقي انتقام الزهرة وغضبها ألا يكفي انك احتقرتها بعدم
اشترائك معنا بالرقص؟

قالت مريم: أيها الاميرة الشهيرة. ايقني أن لا وجود لبا كوس
سوى في فمك ولا خوف من الزهرة ربة الخلاعة والفظاعة الا في
وهك فلا يشعران باكرام ولا بحسان باحتقار لانها معدومان
وأما الاله الحقيقي هو الاله الذي نحمل لآبائنا ودعاهم لعبادته وعلمهم
شريعته ولا يزال يتجلى لخدمته الكهنة الامناء بالرؤى والاحلام
والعلاية ويخطبهم من قدس الاقداس. فلو زرت معبدنا ورأيت
حشمة خدام إلهنا لراعك وقارهم وفخارهم وادهشك منظرهم واعجبك
مقرهم

والفرق يا أميرة خطير بين عبادتنا وعبادتكم لا نتأخرن اليهود
أصحط السنن المقدسة والعبود نعبد الاله الخالق غير المنظور الذي
علا الكون ولا يرضى من عبادتنا الا اذا كانت بالخشوع والخضوع
ويكتفي بالقلوب الخالية من العيوب

قالت الاميرة: ان با كوس حي والزهرة حية أيضاً والبرهان
على ذلك. أنهما يا كلان ويشربان ما يقدم لهما من سمان العجول
واقذاح الحور المزوجة بالزهور والطور في كل العصور بلا فتور
قالت مريم: انك لفي غرور فان تلك التقدّمات تلثمها الكهنة

بشراهة ونهمة حين يكون الناس غارقين في النعاس

قالت الاميرة: اذا ثبت أن تلك القرابين تأكلها الالهة

العلين اشترط عليك ان تعبدني الاصنام كل الايام
قالت مريم: واذا ثبت بالبرهان والعيان ان با كوس والزهرة
لا يا كلان ولا بشر بان ماذا يكون العمل والشرط المحتمل؟

قالت الاميرة: اذا ثبت لدي ذلك أرفض ما هنالك من
الطفيان واتبع الهك الرحمن واصير مثلك يهودية بكل صراحة ونية
وكانت الاميرة مورثت عن أهلها قرى وأباعد وعقارات
وأملكا لا يفنيها الدهر واعتادت أن تنفق على طعام صني با كوس
والزهرة كل ليلة ثمن خمس خرفان وقطار من الحمر وارذب سميذ
خلاف ما تنفقه في أيام المواسم والأعياد. كل ذلك لاعتقادها ان
الالهة تأكل وتشرب وترضى وتعضب

فلما عقدت الشرط مع مريم دعت كبار الكهنة واخبرتهم بالأمر
فأهدوا لها أنها ستفوز بالغلبة

فسرت واعدت اضعاف ما اعتادت ان تعد كل يوم وانطلقت
به مع أم يسوع الى الهيكل ووضعته على موائد تجاه الاصنام وكان
من ثقة مريم ان الكهنة يأتون كل ليلة من باب سرى ويلتيمون
الاطعمة ولا ييقون ولا يذرون ولذلك قيل أن تعلق الاميرة باب
الهيكل أمرت العبد المحوسي أن يذري رماداً فيه ففعل ثم أغلق
الباب وختم بخاتم مريم والاميرة وانصرفنا

فلما كان اليوم التالي انطلقنا معاً فوجدنا باب الهيكل كما هو
والخامسين سالمين ففكتهما الاميرة وفتحت الباب ولما شاهدت الموائد

خالية من الاطعمة صاحت بصوت عال قائلة عظيمة قدرة آلهتنا
فضحكت مريم وأشارت اليها أن تنظر ما على البلاط من الآثار
فوجدت آثار اقدام رجال ونساء وصبيان فحجلت وغضبت على
الكهنة اذ ظهر لها مكرهم بها

ولم تدع الفرصة تذهب سدى فامرت زوجة أحدهم أن تطلعها
على سر سرقة الاطعمة وهددتها فأرسلت باث سرداب تحت الموائد
موصول الى الخارج فتركت الوثنية وبنودت
وكان زوجها الفيلسوف علم بيهود امرأته من ترك عوائدها
وكثرة تردد أم يسوع الى منزله فكبر عليه الامر وجعل يحتاج
مريم باقيسته السفطائية محاولاً أن يقنعا بان الاصنام تأكل وتشرب
كل ذلك بامل أن يرد الاميرة الى الوثنية.

وكان بالقرب من ذلك المكان بركة قديمة يسكنها تين كبير
اعتاد الناس ان يقدموا له غذاء وشرباً معتجزين فقال الفيلسوف
لمريم أقولين عن هذا الاله التين غير حي؟ فهوذا يأكل ويشرب
ويتحرك

قالت مريم نعم انه حي ولكنه ليس إلهاً فان لي قدرة ان
أقتله بلا سيف ولا عصا ومن لا يقوى على دفع البلاء عن ذاته كيف
يكون إلهاً؟

قال الفيلسوف: لو قدرت عليه لعلمت انه ليس إلهاً
فاخذت مريم زفتاً وشحماً وشعراً وطبخت الجميع معاً وصنعت

أقراصاً والتها للتين فاكلها وللوقت اشتق ومات فحجل الفيلسوف
من اعتماده الباطل وكانت هذه الحوادث قد سيرت بين الناس
واتشترت. في الجهات المجاورة خصوصاً قتل التين فتمتقم الكهنة
واناروا العامة علينا فامسينا في خطر ولكن من كرم الاله جاءتنا
أخبار اليهودية تندر يقرب موت هيروودس لان الله ابتلى جسمه
بالاوجاع والقروح والجروح حتى صارت تبعث الروائح الكريهة
وبعد ذلك بقليل قال يوسف ان الملك الذي رأته أمام قدس
الاقداص تجلي لي بذلك المنظر البديع وبشرني بموت طاغية اليهود
وكان حين توفي تنازع ابناه سلطانه كما قال يوسيفوف المؤرخ فحكمت
رومية بأن اخذها وهو هيروودس انتياس الذي سخر بالمسيح
وقت الصلب يختص بقسم الجليل وارشلاوس بقسم اليهودية ولكن
سأه هذا تصرفه ففتنه رومية وصارت ترسل ولادة منهم ييلاطس
البنطي الذي امر بصلب يسوع

٤ ومن ثم اجتمعنا على السفر ولم تشرق شمس اليوم التالي حتى
كنا على مسافة بعيدة من عين شمس وقد رأت أم يسوع ان تقطع
رحلاتنا بحديثها الرقيق فدعنتي بجانبها قائلة:

ألا تتذكر آخر حلقة من سلسلة روايتي لك؟ فقلت: بلى وقد
سطرت كل ذلك ضمن هذا الدرج * فقالت: قد فعلت حسناً ثم
اردفت قائلة: بعد ان لبثت في بيت زكريا نحو الثلاثة شهور عدت
الى الناصرة وكان جبلي قد تعاطم واشهر فلما رأني ابن داود بهزمت

الحال امتنع لون وجهه فاعتزل الاشغال واشتغل بتعكير البال ولم
يلت ان تقدم ومسك بيدي ونحرت شفتاه للكلام فحقته العبرات
وتوقف عن الحديث ثم قال بالفاظ تقطعها الشهباء بالكاد فبميتها
(الجبل ظاهر يامرهم لايحتاج بينة)

فاثرت حاله على عواطفه فاستخرطت في البكاء نظيره اما هو
فكفكف دمه واجاب قائلاً: قد كنت سبيت قلبي بالختي العروس
بطهارتك وزئبق عفتك وزهر عصمتك ما كان احسن حيك وم
كانت محبتك اطيب من الحر ورائحة ادهانك من الاطياب وشفتك
تقطران شهداً

ياختي العروس الجنة المغلقة والعين المقلقة والينبوع المحتوم ذات
اغراس الفردوس التي لم تقطف اثمارها ولم تجن ازهارها * من
ذلك الجسور الذي شوه طلعتك وافسد جمال محياك ونجس طهارتك
ياصيبة؟ من دخل جنة عرفك وقطف زهر عرفك ونزع طيبك
من جيبك؟

من استقى ماءك وعكس سماك وافسد هواك؟ من انضب برك
واوقف دولاب سيرك؟ من اذرى عودك في ابان سمودك ولم يراع
حرمة جدودك؟

من استقى جنتك الرياء والتي فيها البذار النجس والزرع الدنس؟
قال ذلك وولول ولطم خديه وصاح صيحة شقت القلوب بدل
الجيوب ودخل غرفته واغلق بابها وجعل ينتخب: اما انا فقد اغني

علي من صعوبة النظر المؤثر ولما عدت الى ذاتي ورد على بالي هاتف
وهو ان اعتذر بالكتاب واحتج على ان حبلي عجب الاعجاب
فقتت مهرولة الى خزانه الرقوق واخرجت منها اسفار الخروج
وحزقيال ودانيال واشعيا وعدت مسرعة الى باب غرفته وقرعتها
قرعات متواليات ففتح الباب وانتظر الخطاب فدعوته قائلة:

يا يوسف لا برعك حالي وترمي بالقبوة اعلمي اطلب مني
السبب لتسمع كل العجب فاني ما انا بالبغي ولا ذات المكروالي فان
لي في الجبل عذراً ولك منه مجداً وفخراً . فهذه اسفار اياتك افتحها
وتصفحها فتجدها على حبلي ناطقة ولي منها حجة صادقة

فانا يا يوسف المرموز اليه بالعليقة التي اتحدت بالنار ولم تحترق
(خر ٣ : ٢)

لناهي الجبل الذي قطع منه الحجر بغير يدين ولم يحترق
(دا ٢ : ٤٥)

انا هي الباب الذي دخله الرب وهو معلق مقبول دلالة على
اني حبلي وتبول (حز ٤٤ : ٣)

بل انا للشار اليه بالعصا التي افرخت وازهرت ولوراً اتضحت
(عد ١٧ : ٨)

فان لم يقمك ذلك بالاشارة فاليك ما قاله ذو البرارة بصرح
العبارة (ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عماوثيل (اش ٧ : ١٤)
فلم يبع هذه النبوة ولم يدرك لها معنى ولا قوة بل اكثر من

الكلام وزاد في الملام الى الظلام وقال اخيراً الافضل ان تخلي يا مريم
 المنزل اولي من ان يوسعي العار الاشرار والاحرار
 قلت ايها البار وعن الدنيا يا عار عيش بوجه سوح واطل
 الروح الى ان ياتيك الروح ومخبرك بالسر ويشرح منك الصدر
 قبل الفجر وهو ذا انا ذاهبة للصلاة لادعو الاله

فركته تتجاذبه الهموم كمن أصيب بريح السموم ودخلت
 مخدع الصلاة بكل اناة فشكرت وحدثت وركعت وسجدت وقضيت
 الليل ساهرة بطلبات ياهرة

فما أصبح الصباح واشرق التور ولاح وانتشر عرف النياز
 وفاح حتى يادر يوسف وهو يكبر الي ويستعذر ويستغفر قائلاً
 افتحن لي يا اختي وحييتي يا عماتي وكلمتي لان رأسي
 امتلأ من الظلم وقصصني من ندى الليل فسألته قائلة مادهاك
 لما دعاك؟

فقال قد نظرت منظر اعجاب عما جاء عن حبلك في الكتاب
 بكل صواب منذ الاجيال والاحقاب

فانت هي الهيكل النضان والقدس الذي لا يهان والسماء بل
 اعظم وكروسي المجد بل اكرم فما اسعدني رجلاً ولذا ما عدت اوخر
 في خدمتك رجلاً

وقد استمرت مريم تقص حوادث امان حبلها وانا صاغ لكلامها
 الرقيق ومعناه الدقيق حتى اقبلنا بعد بضعة مراحل على غزة بيال

رائق بلا عائق ودخلنا من البوابة التي ذكرتني مريم بان شمشون
 كان اقتلع مصراعها ودلنتني على الجبل الذي القاها عليه وهو نحو
 الجنوب الشرقي وقد لبثنا في هذه المدينة أياماً شاهداً فيها الحقل
 الذي ضرب فيه ذلك الجبار الفلسطيني والمغارة التي فسح فيها فكي
 الاسد وبني عليه احييته

ولما عولنا على السفر لم ير ابن داود من صالح يسوع أن نخرج
 على اليهودية بداعي ان ملاكاً حذره من سم الثعبان ابن الثنين وهو
 أرشلاوس ابن هيرودس لانه كان ضريب ابيه في الظلم ولا يقل عنه
 بالخوف على منصبه

فلما خرجنا من غزة انحرف بنا الدليل نحو الشرق حتى اطلنا
 على سيادوم وعمورة فعبر لنا ذلك المنظر عن كره الله للخطية وشدة
 غضبه وسخطه على فاعلها

وقد خيل لي في ذلك الوقت ان السماء تقذف ناراً وكبريتاً
 على تلك الصحراء المقفرة والهبيب والدخان يتصاعدان منها

وقد سرنا مسافة طويلة تحت سماء كاوية وشمس محرقة وجو
 صاف مع وجودنا في زمان الشتاء

ثم اقبلنا على ممر الاردن والقينا رحلتنا قرب المكان الذي
 اجتاز منه يسوع والشعب بمعجزة وشاهدنا الاحجار التي اقامها
 لتذكرك عبور النهر. ومن الغد استأنفنا السفر حتى بلغنا الناصرة
 وما انتشر خبر وصولنا بين الاقارب والاباعد والجيران والمعارف

حتى بادروا الينا زرافات ووحداً وقد ضاق بنا وبهم المنزل على اتساعه
وما صدق العبد الجوسي ان وصلنا حتى هنا بنا سلامة الوصول
وانطلق الى حال سبيله مزوداً بدعاء مريم وبركاتها

الفصل السادس

- (١) هو يسوع ومهنته
- (٢) تردده الى اورشليم مع والديه
- (٣) عماده
- (٤) ابن الأرملة ولعازر

(١) لما توجه العبد الجوسي رأيت أنا أيضاً من مصلحتي أن
انطلق الى وطني في عبر الاردن في جلعاد حيث بلاد مواب وكان
أهلي من ذوي اليسار قنينتهم الاغنام والأتجار بصوفها ولحما واستدرار
سمها فاستاءت مريم من عزمي واذا لم تجد طريقة لتأخيري عنه
شيعتني هي ويوسف الى الخارج فانطلقت شاكرآ احسانها الى
جلعاد حيث وجدت أهلي يرتعون في أرغد عيش وانعم حيوة جعلت
اساهمهم طيب نعيمهم وصافي بالهم ولذة عيشتهم الخلوية وبعدهم عن
ضوضاء المدن وغوغاء الازدحام

وفي أحد الايام انطلقت الى البرية لاقتقد للماشية التي كانت
منتشرة مع رعائها بقرب ديبون شرقي البحر الميت على مسافة ثلاثة
أيام من اورشليم فوجدتها سالمة وقد أوقف نظري في ذلك الموضع
حجر اسود منقوش باللغة الموآبية (١) اكتشف سنة ١٨٦٩ وهو الان

في متحف اللوفر بباريز) قد كسر مآظهر منه الرعاة قطعاً فكشفت
بأقيه وجمعت متفرقة وضممتها اليه فكان طوله متراً وستين سنتيمتراً
وهو منقوش قبل المسيح بنحو تسعة قرون يحتوي على أربعة
وثلاثين سطرأ

ولما بين لغة مواب بن لوط ولغتنا من التقارب والتناسب
تسنى لي ان احل رموزها واعرف الاتفاق في النقط الجوهرية بين
ما جاء فيه وما ورد في الكتاب عن تواريخ ملوكنا
والكتاب لهذه الصفيحة هو ميشاع ملك مواب الذي ورد
ذكره في كتابنا انه عصي على يورام بن اخاب وقد تفاخر بهذه
الحرب التي اثارها على اسرائيل وذكرت في سقراخبار الايام الثاني
(ص ٢٠) وذكر منها انتصاراته بدون ان يذكر كسرانه كما فعل
غيره من ملوك مصر واشور في خطوطهم القديمة وذلك بقوله
(ان عمري كان ملك اسرائيل وضايق مواب اياماً طوالاً لان
كاموش (معبود مواب) كان ساخطاً على أرضه وخلفه ابنه اخاب
فقال انا ايضاً اقهر مواب في ايامي واتسلط عليه واذله هو وبيته
فياد اسرائيل يدياً دائماً وكان عمري استحوذ على ارض ميدبا واحتلها
وعاش هو وابنه اربعين سنة فاستردها كاموش في ايامي

وهذه الرواية توافق كل المواضع لرواية الكتاب المقدس اولاً
في مقدار ملك عمري وابنه الاول ١٢ سنة والثاني ٢٢ سنة والست
سنين كماله الأربعين سنة اما مدة منازعة زمري لعمري او الستين

التي ملك فيها اخزيا بن اخاب والاربع سنين التي في نهايتها
محررمواب

ثانياً مطابقة اسماء الملوك لبعض

جاء في الصحيفة (وكان رجال جاد يسكنون في ارض عطاروت
منذ زمان مديد وقال لي كاموش امض وافتح نابو على بني اسرائيل)
وهذه الرواية توافق لما جاء في الكتاب (عد ٣٢)

ان بني جاد وبني راويين جاءوا وكلوا موسى وقالوا ان
عطاروت ونابو هي ارض تصلح للماشية ولعبيدك ماشية فان اصبت
عندك حظوة فلتعط هذه الارض لعبيدك وقيل بعد ذلك فبنى بنو
جاد ديون وعطاروت وبني بنو راويين حشبون.. ونابو. ثالثاً ذكر
في الصحيفة كاموش معبود مواب ويهوه اله اسرائيل وهو طبق ما
ورد في الكتاب ايضاً

رابعاً ان كتابة الصحيفة موزعة على الاحرف الهجائية الاثني
والعشرين حرفاً وهذه العادة كانت جارية عند كتبة بني اسرائيل
فلم يبق محل للظن ان هذه الحروف وضعت متاخراً على (مز ١١٩)
او على (ام ٣١)

فلما وقفت على هذه العبارات المطابقة لمثلها في الكتاب المقدس
عجبت من هذه الخطوط القديمة وعلقتها في مذكرة

ولما عدت الى المنزل كلفت ان انطلق الى اورشليم بتجارة من
الاغنام والجمال لايعبها لتجار اليهود والعرب والسريان والرومان

وقد كثر هولاء الأخر في هذه المدينة بداعي ان مجلس السناتوفي
رومية استبعد ارشلاوس لاساءة تصرفه وعين بدله والياً روماني
الجنس

ومما يستغرب له القاري، اني اثناء تجولي في ازقة المدينة صادفت
ام يسوع بحالة تستوجب الخوف والقلق فما صدقت أن شاهدتني
حتى هدى روعها نوعاً وبادرتني بعد التحية بالكلام وقالت: قد
تعبت النهار اجمع وأنا افتش على يسوع في الشوارع وانشده بين
ربي صهيون وأمال عنه البنات والعذارى واستحلفن بالظباء
والاياتل قائلة (احلفكن يا بنات اورشليم ان وجدتن حبيبي ان تخبرنه
باني مريضة) وهن يتجاهلن تارة قائلات (ما حبيبيك من حبيب
ايتها الجميلة بين النساء ما حبيبيك من حبيب حتى تخلفينا هكذا)
ويسخرن بي اخرى بقولهن (ابن ذهب حبيبيك ابن توجه فطلبه
معك)

فاجبتن على السؤال الاول بأن حبيبي أبيض واحمر معلم بين
رطوبة وعلى الثاني بانه نزل الى جنته الى خمائل الطيب ليرعى بين
السوسن

فقلت لمريم: وكيف تسنى ليسوع ان يأتي وحده الى هذه المدينة
قالت: لم يأت وحده لاني أنا وابن داود كنا معه وقد اعتدنا كل
سنة منذ نقي ارشلاوس أن تأتي به الى الهيكل في عيد الفصح ولما
أكملنا أيام العيد انطلقنا الى الناصرة مع الاقارب والاصدقاء. وكنا

نظن أنه سار ضجبتهم فبعد أن سرنا يوماً واحداً طلبناه بينهم فلم نجد فرجعنا على آثرنا وقد قضينا يومين وأنا أفتش في جهة وابن داود في أخرى فلم نهند إلى مكان وجوده وهوذا أنت الثالث كلف خاطرك وانشده معنا خاصة عند النجارين لأنه تعلم من والده هذه المهنة وقد ذاب قلبنا في داخلنا من الخوف عليه ربما أغواه أحدهم وأبقاه عنده وتبناه فقلت لها: حباً وكرامة وموعد الالتقاء بك مساء باب الخليل. فانفصلت عنها بعد أن عرفتني بعلامة فيه تميزه عن غيره وانطلقت أعدو إلى الهيكل فوجدته في صحنه جالساً بين زمرة حملة التوراة وكتبتها وعلما شريعتها يسألهم ما أشكل فيها ويفسر لهم عويصها ويوضح غامضها وهم يعجبون من طلاقة لسانه ورقة الفاظه وحلاوة كلامه في غضاضة عوده إذ لم يتجاوز من العمر الثانية عشرة وقد شوقني منطق لسانه أن أعني كلامه في خباء قلبي وسلوت به عن خوف والدته عليه فجلست أصغى وإذا هو يقول

: ماذا تظنون أيها الزايون بناموس موسى هل يطرأ عليه تغيير وتبديل وتحوير أو يدوم إلى الأبد مادام الآلة الصمد؟

فاجاب الزابي شمويل وكان تخمين الرقبة غليظ البطن سمين الجسم قائلاً: بل يدوم يا فتى مادام الصيف والشتا

قال يسوع إذا ما معنى قول النبي؟ (ها أيام تأتي يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهداً جديداً ليس كالعهد الذي قطعته مع آباؤهم يوم امسكتهم بيدهم لاخرجهم من أرض مصر

حين تقضوا عهدي فرفضهم يقول الرب (ار ٣١ : ٣١)

فسكت جميعهم من صغيرهم إلى ربيعهم
 فقال يسوع: أيها الزايون ألا يجوز أن تقتر الذبائح للديان في
 خلاف هذا المكان ويتغير الكهنوت يا أبناء الملكوت وهلا تقبل
 عبادة الامم يا أولي النعم؟

فاجاب الزابي موشي وكان معرضاً عصابته ومعظماً أهداب ثيابه
 وجالساً في الصدر بكبرياء وخر قائلاً: لا يجوز هذا الكلام يا غلام
 فقال يسوع إذا ما معنى قوله للسكينة (ليست لي مسرة بكم
 ولا أقبل مقدمة من يدكم لأنه من مشرق الشمس إلى مغربها اسمي
 عظيم بين الامم وفي كل مكان يقرب لاسمي بجور وتقديم طاهرة
 لان اسمي عظيم بين الامم (ملا ١ : ١٠)
 فصمت الجميع من الرفيع إلى الوضع

وبينا هو يقوم بهذه المهام في ذلك المقام وإذا برعم ويوسف
 داخلان فإشارا إليه اشارة القيام فقام واعطى السلام فقالت له أمه
 بخشوع: يا يسوع ذا القول المسموع والرأي المتبع لماذا تركتنا حتى
 اشغلنا؟

قال: يا مريم ينبغي لي انا الصبي ان اكون قدام ابي وتبعها
 على القور بكل سرور

(٣) ولما انتهت تجارتي ونفقت بضاعتي عدت الى الوطن
 فصادفت فتى لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منقطة جلد ويده

آناء ملآن من غسل البر يتخلله جراد مشوي فاقربت اليه قائلاً:
ما اسمك؟ فقال: صوت صارخ في البرية. قلت: ما عملك؟ قال: ان
اسبل طريق الرب (فما فهمت له هذا الكلام ولا اردت ان اسومه
للام قتر كني وعدا الى النهر بلا صبر. فلما اجتمعت بالرعيان سألتهم
هل صادفوا هذا الشاب في الوديان او الهضاب

فقالوا لعله يوحنا العابد الذي للوحدة والنسك يكابد ويسكن
التغار ولا يأوى الى دار

فقداني هذا الصوت الى عدم السكوت وقلت: هل لكم ان
تدلوني على مكانه لاعرف ادوار زمانه من لسانه او بنانه واقف على
مكونات قلبه ومعلومات لبه واكون له صديقاً واخاً ورفيقاً

فقالوا: غداً يكون التلاق مع ذلك المصداق
فجاب الامل لان الرعاة اجتهدوا بعدئذ ان يقفوا لذلك العابد
على اثر في تلك البرية فذهب سعيهم باطلاً ومرت عليهم عدة سنين لم
يروه ولم يراهم بخلاف ما كانوا عليه سابقاً اذ كان يأنس اليهم ساعات
ومحدثهم واحياناً يحضر لهم اقراصاً من الشهد ويأخذ بدله جانياً من
وبر الابل ويغزله وينسجه نوباً خاصة في فصل الشتاء

ولما كان احد الرعاة منطلقاً بقطيعه نحو الاردن شاهد على شاطئه
الغربي جمهوراً لا يقدر ان يحصره غير الاله فانذعر عند هذا المشهد
اذ لم يره قبل ذلك اليوم لاني هذه النقطة ولا في خلافتها فلما صار
بينه وبينهم نحو رمية حجر رأى رجلاً ملتجئاً واقفاً في النهر يعمد

الآتين اليه وكلما اقترب واحد يغطسه قائلاً: انا اعمدك بماء للتوبة
والذي يأتي بعدي يعمدك بالنار والروح القدس.

وكان يزجر البعض ويوبخهم على خطاياهم ويأمرهم ان يفعلوا
أعمالاً تليق بالتوبة ولا يدعهم يتكلمون على أبيهم ابراهيم وهم لا يجارون
ابراهيم باعماله وقد لبث الراعي ساعة باندهاش تاركاً قطيعه منتشراً
على ذلك الشاطئ. ولما عاد به وقص علي ذلك الحادث طار النوم من
عيني وما طلع النهار حتى توجهت الى ذلك المكان وقطعت النهر
ووقفت بين ذلك الجمهور انتظر معهم ذلك الرجل وكانوا يدعونه
نبي الاردن ويقولون ان الله افتقد به شعبه لانه مضت منذ ملاخي
آخر الانبياء نحو خمس مئة سنة لم يتم نبي وكان بعض العلماء يحسب
أسابيع دانيال ويقارن نبوة يعقوب بهذا الزمان ويستنتج ان هذا
النبي هو الماسيا الذي يرد الملك الى بني اسرائيل ويجلس على كرسي
داوود.

ثم صاح واحد قائلاً (هوذا النبي) فانجبت كل الانظار نحو
الجهة القادم منها واذا برجل مكشوف الرأس وشعره مرسل على
كتفيه يتقدم نحو النهر وهو يقول: اهربوا من هذا الجبل الملتوي
توبوا فقد اقترب ملكوت السموات. ثم عبر النهر حتى غمره الى
وسطه وبدأ يعمد الآتين اليه

فدنا اليه رسولان من قبيل رؤساء الكهنة وقالاه هل انت
هو الماسيا المنتظر؟ فاجاب لا. فقالا: اذاً ما بالك تعمد؟ قال: انا اعمد

بماء للتوبة ولكن يأتي بعدي من هو أقوى مني رجل صار قدامي
لانه كان قبلي يعبد بالروح القدس والنار ويحمل الخطايا والاوزار.
ثم توقف عن العباد وشخص نحو الزاوية التي ارتفع منها ايديا
الى السماء ومد يمينه نحوها ولبت صامتاً نحو دقيقة حتى حوّل كل
الابصار الى تلك الجهة واذا برجل تجلله الالهية والعظمة قادم اليه
ترافقه بعض النساء ثم صرخ النبي بغتة قائلاً: هوذا حمل الله الذي
يرفع خطية العالم فاخلى له الجمع طريقاً حتى دنا من المعمدين بالسلام
وقال له: ماذا تريد من العبد ايها السيد؟ فاجاب بصوت رن كبوق في
اذان الجمهور قائلاً: ان اعتمد منك. فاعتري النبي الدهول والخشوع
وقال بخضوع: انا المحتاج ان اعتمد منك وانت تأتي الي؟ فاجاب انه
يليق بنا أن نكمل كل بر. فلم ير النبي بدأ من عماده فعمده بغاية الاجلال
وللوقت هدر فوق رؤوسنا صوت كما من هزيم رعد قاصف مع ان
الجو كان صافياً واذرفنا أعيننا الى فوق منذعرين شاهداً مجدداً
باهراً نشبت منه شعاعة من نور بشكل حمامة وانقضت كسهم على
رأس المعتمد وما عم ان استحبال الرعد الى صوت يتكلم ويقول: هذا
هو ابني الحبيب الذي به سررت.

(٣) فضج الجمع على أثر هذا الحادث قائلاً: هذا هو الماسيا
هذا مخلص اسرائيل اوصنا لابن داود فليعش الملك فلنسمع الامة
وليرتفع قرنها ويعل شأنها وتقوشوكتها وبخز الرومان وكل مستعبدتها
ولما صعدت هذه الاصوات بضجة الفرح تكأ كأ اغلب الجمهور على

الشاطي. وقالوا. فليحييا الملك: وقصدوا ان يسكوا ذلك الانسان.
ولكن لم يصعد من الماء حتى تواري عن اعينهم فاخذوا يفتشون
عليه مبهوتين حتى ينسوا من وجوده وبات بعضهم في حزن
(٤) وبينما انا اجول بين الجوع وانتقل من فرقة الى اخرى
شاهدت ام يسوع باسطة يديها الى السماء وعيناها تذرقان دموع.
الفرح فابتدرتها بالسلام فاخنت رأسها بابتسام وقالت: ألم تر يسوع
في مجده وألم تسمع شهادة الاب له بانه ابنه الحبيب؟ فاجبتها: لم اكن
أعلم ان الذي عمده يوحننا وشهد له الاب وحل عليه الروح القدس
هو يسوع اين هو الان؟

قالت: اخبرني انه مزعم بعد المعمودية ان يكابد صوم اربعين
يوماً مجرباً من الشيطان في القفار فغالباً قد توجه الى البرية ولا أمل
ان تلقيه قبل هذه الاونة

قلت: ماذا يقصد ان يفعل بعد ذلك؟

قالت: طالما كان يقول اني جئت الى العالم لآخف من ويلات
واشفي علاته فسوف اشفي اسقام الشعب واخرج الارواح الشريرة
وامنح البصر للعميان واقيم الموتى وأمر الرياح ان تسكن والبحر ان
يسكت وامشي على المياه وانذر بسنة مقبولة للرب واءلم كل العالم
الفضيلة والطاعة لابي والتعبد له

قلت: انه لهذا العمل يحتاج أن يعيش المسيح الى الابد.
قالت قد انذرتني بالمدة التي يجول فيها كارزاً ومعلماً وهي مدة.

ثلاث سنين ثم يتختم عمله بالصليب وقد كنت كما اسمعه ينذر بموته
مصلوباً ارتعد فرقاً واحاول ان اصده عن السلوك في هذا الطريق
الشاق فكان يجاوبني لهذا جئت اما انه يحتاج ان يعيش دائماً ليصيب
مرماه ويدرك غرضه وينجح عمله فذلك صحيح ولكن الماسيا سوف
يترك العالم ويمضي الى الاب وأما قال انه مزعم ان يختار لآمام هذا
العمل اتى عشر رسولاً وسبعين مبشراً

قلت: الان تذكرت ماذا قال لي سمعان الشيخ انك سوف
تكون أحد انصاره والقاعين بدعوته

فسوف الحق به واكون من خاصته وكخدمته في الصغر اخدمه
في الكبر وأما الآن اعود الى الوطن لاقضي بعض المهن واعود الى
الناصره حيث اجلك واستعلم منك عن مكان وجود الماسيا لان تلك
المدة تكون قد انتهت قبلت يديها

قالت: لا اخفي عنك يا ولدي شيئاً ان لي صديقة في نابين دعنتي
منذ يومين ان احضر عقد اكليل وحيدها بعد شهرين فتى مضت
هذه المدة مجدني قد عدت الى الناصرة

فاجتزت النهر وانطلقت الى حال سبيلي اتامل في تلك الحوادث
السموية التي شاهدها الوف تغيري واقروا بمنزلة المعبد الالهية ولم
تض مدة الاربعين يوماً حتى هبات للسفر الى بلاد الجليل قاصداً
الناصره منها وفي اثناء الطريق تذكرت كلام مريم لي انها كانت مزمنة
ان تاتي دعوة صديقتها الارملة في نابين وتحضر احتفال زيجة وحيدها

فخرجت على هذه القرية

وما سرت بضعة خطوات في شوارعها حتى التقيت بام يسوع
متوجهة الى بلدها الناصرة فقالت سلام لك يا ولدي لو تقدمت بضعة
ساعات لشاهدت مجد الله ولكن سر معي لاقص عليك ماجرى اليوم
اخبرتك يوم كنا على شاطئ الاردن اني مدعوة ان احضر زفاف
شاب وحيد لارملة تقي الله وتتعد له منذرملها فاجابة للدعوة جئت
هنا منذ يومين فحدث البارحة بينما كنا نستعد للتوجه الى بيت الخطيبة
ان الشاب اصيب بحصى خبيثة لم تدعه ان تطول عليه ساعات ذلك
النهار وفي ساعة واحدة تغيرت الافراح بالاحزان والاشجان ومن
يقدر ان يصف مقدار كآبة تلك الارملة سيما اغنام تلك العروس منذ
طرق سماعها تلك الفاجعة فكانت زفرات الحزن واصوات العويل عجيب
من بيت العروس وبيت ذلك الميت وكان حزني لا يقل عن حزن
تلك الثكلى التي كانت تمزق الحشاء بنديها وعويلها وما ادراك ماذا
حدث لها حين رفع الرجال ثمرة احشائها من بين يديها جثة هامدة
لا حراك فيها جثة ذلك الشاب الذي كان على جانب عظيم من قوة
الصبوة وعنفوانها وذهبوا بها الى المدفن فاعتري الثكلى الدهول
والغيوبة وخنقتها العبرات وامست شاخصة لا حراك لها كأنها قطعة
من حجر

فحينئذ نأسفت بذاتي قائلة لو كان الآن يسوع معنا هو وتلاميذه
كما كان في عرس قانا الجليل وحول الماء الى خمر حين مست الحاجة

اليه لما دهمتا هذه النكبة ولكن ما قدر فكان وقضى فصار ولا مرد
لقضاء الله وقدره ولم تدعى رقة القلب والحناة ان ادع تلك العروس
الشقية واصحب النعش فتوجبت الى منزلها وبقيت تارة الاطفها
سواخرى اراقب من النافذة سير الجنائز حتى غابت عن عيني فاعملت
كل فكري في تنبيه تلك الشقية التي هي بالحقيقة سعيدة واستعملت
كل وسيلة المنبهات حتى استفاقت كأنها من حلم وهي تنادى امها
الى اتمام معديت الزفاف ووسائل الافراح

وبينا انا اعالج العروس طرق اذني صوت هتاف عظيم فاجفلت
وتطلعت من النافذة وعندها تاكد عندي انه هتاف فرح وانه آت
من خارج اسوار المدينة وتسلفت جدار سطح البيت حيث انكشف
لي منه جمهور عديد يقرب منها وما ليث قليلا حتى شاهدت خادم
البيت الادومي يهب الارض محاضراً وهو يشير بيديه ويحرك رأسه
ومن ورائه شابان يسرعان ويشيران مثله ويهتفان هتافاً لم أفهم منه
صوى (هوحي هوحي) (يسوع يسوع) البشرى البشرى ابن
عروسه فزادت نبضات قلبي وتلجلجت في الاستفهام بتلف قائلة بالفاظ
مقطعة من الذي تقولون عنه انه حي؟ وماذا تريدون باسم يسوع؟ فاجاب
الخادم ومجابه يتلألاً بالبشر والسرور—العريس احياه يسوع يا ستي
ابن الفتاة دعيني اراها قبل غيري البشرى لي وحدي لا تقطعي رزقي
ها هو قادم في موكب الفرحة نحفه اصوات التهليل وترافقه نشائد
السرور ووالدته من ورائه تزغرد وما اتم الخادم كلامه حتى سرت

امامه مسرعة الى حيث العروس واخبرتها بذلك كن يقص عليها
حكاية بسيطة خوفاً من انفعال الفرح قائلة : البشرى يا عزيزتي قد
قام عربسك اقامه يسوع

فهزت رأسها وشخصت الى السماء وسكبت عبرات اليأس غير
مصدقة وقالت: آه يقوم ولكن في القيامة فقطع كلامها الخادم قائلاً:
ولكن الآن يقوم على الارض وقد شاهدته يتكلم بعظائم الله
واما فرح والدته فلا يوصف

وما نطق بأخر كلمة حتى دوت اصوات الجمع في الازقة وملاً
الضجيج الشوارع ولم يعد له وقت لكي يتم تفضيل حكايته فقدت
العروس الى سطح المنزل وهي بين الشك واليقين ولما اشرفنا على
الجموع شاهدنا الشاب يتقدم الجموع على رجليه طافراً مسبحاً الله
بين هتاف الحمد واصوات المجد ولم يبق بينه وبين الباب سوى خطوات
وما صدقت الشابة ان شاهدته حتى صرخت والدموع ملائ عينها
النجلاوين انه حي انه حي وبادرت الى الاسفل وعاقته وعادت
الى خدرها قبل أن يراها احد

ولما سكت الهتاف تقدم الكاهن زدعا بالشابة الى جانب
الشاب وأتم قرانها بالدعاء والبركة وهوذا هما في ارغد عيش
وانعم حيوة

ولما اتمت مريم روايتها سألها عن مكان وجود الماسيا الآن
فصالت : ان الجمع على اثر اقامته لاين الارملة تظاهر بالعصيان على

الرومان وطلب ان ينصبه على كرسي داود ابيه ملكاً فتواري في
وسطهم واخفى تاركاً تلاميذه وعلى ظني انه انفراد في الجبل للصلاة
كعادته وربما سبقنا الى الناصرة

وما وصلنا الى هذه المدينة حتى وجدنا رسولاً ينتظر قدوم مريم
بفروع صبر حاملاً اليها رسالة من صديقتين لها في اليهودية اسم
احدهما مريم والاخرى مرتا ففضت ختم الرسالة وقرأها وتهدت
شاخصة الي فتناولتها من يدها وتاملتها واذا بها

(من مريم ومرتا في بيت عنيا الى ام يسوع بالناصرة سلام اعلمي
ان لعازر صديق ابنك احتم البارحة وسقم والمرض آخذ به بالزيادة
من ساعة الى اخرى وقد ارسل لنا رئيس الكهنة ثلاثة اطباء مدعلم
بالمرض فلم ينجح دواؤهم ومن حامل رسالتنا تقفين على تفصيل المرض
ولا امل بالشفاء منه ما لم يدركنا صديق اخينا بالاسعاف فمندوقوفك
على هذا الخبر الذي بالطبع يبعث فيك الشفقة علينا والحزن معنا اطلبي
الى يسوع ان يبادر الى موازرتنا قبل ان يصيبنا الشر لا سمح الله)
فتطلعت الى مريم قائلاً لا بد ان لعازر متقرب الى رئيس
الكهنة والا لما اهتم به وازسل له الاطباء

قالت وفوق ذلك انه شير عند جميع رؤساء اورشليم ومحبوب
عندهم لانه من كبار كتاب الناموس واحذقهم ومعيشته ومعيشة اخيه
من صناعته هذه فياويلها اذا توفاه الله
فقلت اذا ما العمل؟ قالت ان ترفق هذا الرسول الى حيث يوجد

يسوع وتدعوه بلساني ان ينطلق بسرعة الى عيادة صديقه لعازر
ليخفف من ويل تينك الاختين وهوذا انا ذاهبة قدامكما اليها
فاجتبا حياً وكرامة وسرت انا والرسول الى نواحي طبرية اشده
ومن توفيقات العلي التقينا به في سحراء غاصة بالجموع وهو يعظم فظل
مخاطبهم الى ان مال النهار وقيل ان يصرفهم قدم اليه قتي خمس
خبزات وسكنتين على طبق فوزعها الى قطع ودفع الى كل واحد
من المحدثين به جانباً ليضعوه قدام ذلك الحشد الجالس وقتند على
العشب الاخضر

فوقفنا مبهوتين لانا كنا نشاهد ان التوزع من بين يديه اصعاف
ما تقدم له الاقفا

والاعجب من ذلك ان يسوع امر المقدمين تلك المائدة ان
يجمعوا ما فضل عن الاكابين من الكسر فجمعوها واذا بها اثنا عشرة
قفة ثم صرف الحشد آذناً لهم ان ينطلقوا الى بلادهم

ولم يبق معه الا اثني عشر رجلاً كانوا اطوع له من ظله فتقدمت
اليه بالرسول الاتي من قبل مريم ومرتا جاثياً وقلت له: يا سيد ان الذي
تجبه مريض ثم دفعت اليه رسالة متحماً فقرأها وقال: هذا المرض ليس
للموت بل ليشمجد ابن الله به. وبدل ان يجيب الطلب ويسرع لاغاثة
تينك المسكينتين لبث في مكانه يومين وكنت كما احسر ان ادنو منه
لافاحه بتلك المسألة تصدني مهابته عن الكلام وفي آخر مرة التفت
الي بوجه رائق وقال لعازر حيننا قد نام فقال واحد من الواقفين

ان كان نام فهو يستيقظ فاجابه يسوع: اني اريد بالنوم الموت .
قال ذلك وسار وامرنا ان نتبعه

فسرت بجانب واحد اسمه متى كانت وظيفته قبل ان يتلمذ له
جباية الخراج فقال لي: أتظن ان معلمي لا يقدر ان يقيم لعازر من
الموت؟ ألم تسمع انه اقام ابنة احد الرؤساء ومد بضعة ايام اقام شاب
نايين؟ ولو أردت ان اقض عليك من خوارق اعماله لطال بنا الكلام
ولكني اکتفي ان اذكر لك منها ما هو. مرة طهر ابرص واخرى
عشرة دفعة واحدة وفي وقت طلب اليه قائد مائة من جنس الرومان
ان يقول كلمة واحدة ليشفي بها ابنه المفلوج فشفاه بقوله له: كما أمنت
ليكن لك. وفي يوم قدم اليه مفلوج على سرير فامر ان يحمل السرير
ويضي فقام صحيحاً وفعل كما امره. وفتح اعين العمي واخرج
الشياطين واعطانا نحن تلاميذه سلطاناً ان نفعل نظيره ولما جلنا
بين اسباط اسرائيل كانت الشياطين تخضع لنا باسمه فلا يعسر عليه
ان يقيم لعازر. فقلت: ان كان لعازر مات البارحة او اليوم ومن هنا
الى القرية التي دفن فيها مسافة يومين فلا ينصل حتى يكون مضى زمن
تشوش فيه جسمه

فقال: الكلام لا يفيد الان سوف ترى ان قدرة يسوع لاحد لها
وكان يقص من حوادث المسيح وانا اعى ذلك في خيائ قلبي
الى ان اشرفنا على القرية فعدوت نحوها را كضاً حتى بلغت منزل
لعازر الذي كان وقتئذ مزدجماً باليهود المعزين وبشرت اخيه وام

يسوع بقرب محبي المسيح فاطرق سماع الجمع مجيئه وخاصة مرتا
حتى خرجوا ماعدا مريم التي لبثت تهيء المنزل لنزول يسوع حبيبها
اما مرتا فادركت المسيح قبل الكل وسقطت باكية عند
قدميه قائلة: يا سيد لو كنت ههنا لم يميت اخي. قال لها: يقوم اخوك يا مرتا
اذهي الى مريم وقولي لها ان يسوع يدعوك لتري مجد الله. فلم تصدق
مرتا وعد المسيح بل اجابته: انا اعلم انه يقوم في القيامة. فقال لها:
انا هو القيامة من آمن بي وان مات فسيحيا ألا تؤمنين بهذا؟
فاجابت: بلى او من اسرعت الى مريم ودعتها قائلة: ان العلم
يدعوك لكي تشاهدين قيامة اخينا لعازر

فحاضر مريم السرور المزوج بالخشوع عند سماعها هذه البشرى
وتركت ما بيدها من العمل وتبعته اختها ولما دنت من يسوع وقعت
عنده رجليه باكية قائلة: لعازر مات يا يسوع وقد انطلى نور أعيننا
بموته يا معلم وهدم صرح مجدنا ودكت دعامة حياتنا وهوى ركن
سعادتنا يا سيد وصار الموت خبير لنا من الحياة فلوكنت ههنا ايها
الشفوق لم يميت اخي

قال لها: من آمن بي لا يذوق الموت وان مات فسيحيا اين وضعتموه؟
فسارت قدام يسوع والجمع من خلفها حتى وصلوا مغارة على
بابها حجر عظيم حيث كان موضوعاً فانظرت الاختان على الحجر
تبيكان ولما شاهدهما يسوع تهذب وبكى وامر رجالاً ان يرفعوا الحجر
فرفع وللوقت شكر وابتهل وصاح بصوت عظيم قائلاً

لعازر هلم خارجاً

وعند هذا الصوت شخصت جميع الابصار الى باب المغارة
واذا بالليت قد اندفع منها كسهم مرشوق من قوس وانتصب على
رجليه بكفته وعندها اندعر الجمع الواقف ووقعوا على الارض من
الخوف ما عدا مريم واختها اللتين اندفتا بجاذب الحب الاخوي
عليه وعاقته مزغردتين فنادى يسوع بالذين رفعوا الحجر قائلاً
حلوه من وثاقه وكان الجمع قد رجعت اليه قواء فوقف وشرع يعاقبه
الواحد بعد الآخر

ثم ساروا به فرحين شاكرين احسان الماسيا

﴿ الفصل السابع ﴾

(١) الصلب والوت

(٢) القيامة والصعود

(١) وكان المظنون ان يسوع يرافق الجمع الى منزل لعازر
ولكنه توجه الى اورشليم وفي اثناء الطريق ارسل اثنين من تلاميذه
الى قرية قريبة فاحضرا له اثناً وبعثاً فركب على الاثان في صعوده
وعلى الثاني في نزوله لضعفه وسار والتلاميذ محذقون به والمهابة تحفه
والجلاله تراقته بين هتاف المجد واصوات الحمد وقطع بعضهم اغصاناً
من شجر الزيتون وفرشها قدامه وحمل غيره اغصان النخل
ولما قرب من المدينة ارنجت وخيل لي انه لم يبق فيها ساكن لم
يخرج لاستقباله وقد امتزجت اصوات الاطفال باصوات التلاميذ

باصوات الجمع والكل يقول: اوصنا لابن داود مبارك الآتي
باسم الرب.

وظل يسير بهذا الموكب حتى دخل الهيكل فاستاء مما شاهده
فيه من تدنيسه باصوات ثغاء الغنم وبعار البقر وهدر الحمام ورنه
الدنانير بدل اصوات التمجيد ولذلك رفع صوتاً بيده وضرب به
الارض كان كرفع قاصف وتلاه قائلاً: ان بيتي بيت الصلاة يدعى
وقد جعلتموه مغارة اثم وظلم وسلب ونهب وربا

ولم يدو صوته في اذان الباعة حتى ذعروا ووقع بعضهم على
بعض ومن جراء ذلك اقبلت كرامبي باعة الحمام وموائد الصيارفة
خفرت الطيور وانكبت الدنانير وفي لمح البصر لم يبق في الهيكل
سوى التلاميذ وافر قليل من الكهنة فتقدموا اليه وقالوا له قد فتنت
المدية فمن قليل يأتي الرومان ويخربونها ألم تسمع ماذا يقول الاطفال؟
فاجاب: ليست لي مسرة بكم. وان سكت هولاء. نظقت الحجارة
فقد دنستم الهيكل واهتمتم اسم ابى الذي دعي عليه فسيأتي يوم
لا يترك فيه حجر على حجر

وما اتم كلامه حتى تقدم اليه عرج وعمي فشفاهم ثم خرج من
الهيكل وسار الى خارج المدينة

وفي اثناء الطريق تقدمت اليه ساجداً قائلاً: يا سيد اتبعك الى
حيث نمضي فاجاب: ان كنت تريد ان تكون لي تلميذاً كاملاً فامض
وبع املاكك وفرقها على الفقراء والساكين وتعال ورائي حاملاً

الصليب واعلم انه ليس لي مكان اضع فيه رأسي
فتهقرت الى الورا متردداً بين العمل بشورته والعدول عنها
وبعد الاخذ والرد في ذاتي اخترت الامر الاول على الثاني وانطلقت
الى البلد حيث مكثت الى ان وزعت ما امتلكه على الفقراء المساكين
من متروكاتي ومقولاتي وعدت على الاثر الى اورشليم حيث شاهدت
في شوارعها يسوع هشعر من منظره الاجسام وترعد الفرائض
شاهدته لابساً اكليل شوكة وحاملاً الصليب واليهود والجنديستاقونه
بمعنف الى متنع العذاب والنساء يولولن عليه ويندبنه ويرثين لخال
والدته وتلاميذه قائلات: يا لشقاء والدتك يا لخبية تلاميذك ما أكثر
عارهم واعظم خزيهم. وبما وصلوا به حتى عروه ومدوه على خشبة
وسمروا يديه ورجليه عليها وغمسوا اسفلها ونصبوها وصلبوا معه
مجرمين احدها عن يمينه والاخر عن شماله وصار كل من يجتاز عليه
يعيره

اما انا فقد جمد الدم في عروقي واشتملتى الدهول واخذتني
الحيرة وصرت اقايس بين المعجزات التي فعلها والتي رافقت حياته
وبين الحالة المحجلة التي انتهي اليها

وكانت نساء واقفات عند الصليب يبكين بينهن امه التي بمجرد
ما وقع نظره عليها دعا تلميذه يوحنا الخصب به وسلمها له وامره
ان يعنى بها كوالدته ومريم اختها م يعقوب ويوسي ويهوذا ونساء
اخرى

وقد زاد ارتباكى حدوث ظلمة اكفر منها وجه السماء حتى
ظهرت النجوم وغطت الارض وحجبت رؤية أحدنا عن الاخر ولم
نعد نشاهد الصلبان الثلاثة سوى صليب يسوع لان هالة من نور
قيت فوق رأسه كان يتألق منها وجهه

وقد استمر وجه السماء والارض مكفهرًا نحو ثلاث ساعات
وعقب ذلك صاح يسوع بصوت وأسلم الروح وعندها تماوجت
الارض وحدثت قرعة ودويًا حتى غشي علينا ووقعنا على وجوهنا
من الرعب ولما ارتفع الدوار عنا وعادت الينا قوانا اتصبنا على
أقدامنا ورأينا الصخور التي بالقرب منا تمزت قطعاً والقبور بانث
منها ا كفن الموتى فكان بالقرب من هذا المكان بستان لغني فيه
قبر جديد منحوت بصخر فتوجه الى الوالي الروماني وطلب اليه أن
يأذن له بوضع جسد يسوع فيه فاذن له فوضعه فيه بعد ان وضعه
بالاطياب والروائح الذكية

وخاف اليهود أن يسرق التلاميذ الجسد وندعوا بقيامته فطلبوا
من الوالي التعقيب عليه فامر أن يوضع الحرم فوضع على القبر بعد ان
سد بابه بحجر كبير وختم عليه

(٢) فهذه الحوادث المكدره بعنت بني شوقاً الى ان الازم
تلاميذه واستطاع أخبارهم وأقف على ما هم عازمون ان يفعلوه ان كانوا
يتفرقون ايدي سبا او يقيمون الحجج ضد الوالي واليهود لدى الامبراطور
على ما اتوه من الظلم وبعد ذلك يتادون بدعوة معلمهم المصابوب

وينشرون تعاليمه فجمعت اجول في شوارع المدينة واتصى عن
الموضع الذي كانوا يترددون اليه لاني علمت من بعض النساء انهم
بعد القبض على يسوع في بستان جتسباني وقع الرعب في قلوبهم
ولازمه بعضهم خفية الى دار رئيس السكينة حيث اثبت اليهود عليه
انه جدف لانه قال ان الله اياه وساوى ذاته به فلما كشفت بوابه
عن امر احدثهم المذعوب بطرس انكره من شدة الخوف وحلف مراراً
انه يجبهه

وبعد العناء الشديد تأكدت انهم مخفون في جبل صهيون في
منزل ام يوحنا الذي دعي بعدئذ مرقس فلما بلغت الى باب ذلك
المنزل قرعته مراراً ففتحته جارية اسمها رودا ولم تأذن لي بالدخول
الا بعد ان وقفت على معرفتي تمام الوقوف فدخلت الى حيث
وجدت اولئك المساكين مكرويين مذعورين هذا يكتئب
وذاك يتهدد والآخر يردد الصعداء وكلهم في خوف ووجل حاثرون
لا يدررون ماذا يكون من امرهم والنساء اللواتي معهم وان كن في
حزن عميق وانكسار قلب خاصة والدة المصلوب التي كان يصعد
من جوفها كل عويل بعد آخر يفتت الكبد فقد كن اقوى قلباً منهم
واسكن جاشاً

وكانت النساء قصدن ان يذهبن في اليوم التالي ليبيكين عند
القبر فلم يأذن لهن شؤون السبت والخوف من اليهود فاكتفين باعداد
الطيب ليدهن به جسد يسوع وصباح اليوم الثالث من الفجر انطلقن

الى القبر ولم يمض على غيابهن زمن حتى رجعن مذعورات محمولات
بفرح عظيم وكانت مريم اخت لعازر أشد سرعة فلم تصل باب
المنزل حتى قرعته بعنف فتربصنا كل واحد في مكانه خائفين ووجد
الدم في عروقنا وبالجهد دنت الجارية من الباب بوجل ونادت بصوت
متقطع من القارع ؟ تجاوبتها بزغرودة فخارت قوى الجارية من
الاضطراب وعادت بدون ان تفتح الى بطرس ويوحنا وام يسوع
لانها كانت معها في غرفة واحدة واخبرهم بالامر فخرجوا مسرعين
الى الباب وفتحوه فارسلت النساء زعاريدهن ووقعت مريم اخت
لعازر على عنق ام يسوع وقالت لها

- انت - انه - قام من القبر وقد نظرتَه وكلمني - البشرى
يا مريم البشرى يا بطرس البشرى يا يوحنا البشرى يا تلاميذه انكم
لم تكونوا مخدوعين بالحقيقة قام رب المجد ابن الاب البارك ليا لعظم
سرورنا وفرحنا وسعدنا به يا لخزي اليهود الصالين

فلم تدع هذه العبارات فينا قوة الاحتمال والصبر الى ان نسمع
تفصيل ما شاهده فرحنا جميعنا وبطرس ويوحنا يتقدمانا وما
اجتزنا بوابه المدينة قليلاً حتى لقينا اربعة جنود فاجتازونا راكضين
بحو المدينة مذعورين فناداهم حارس البوابة مادهاكم حتى اراكم
خائفين ايها الأبطال ؟

فاجابه احدثهم (اعلم أننا نحن الحرس الذين امرنا أن نففر على
قبر النبي يسوع حدث انه بينا كنت اخطر قدام القبر عند شروق

نور الفجر اذ ابرق حولنا نور خاطف مصحوب بحفيف شديد كأنه
من أجنحة كثيرة أيقظ رفاقي مذعورين واذا تطلعتنا الى فوق شاهدنا
شخصاً يتألق بالضياء الساطع ينقض الى الاسفل حتى نزل على القبر
وحينما مست قدماه الحجر اهتزت الارض تحت أقدامنا كما من زلزال
والوقت رأينا النبي المصلوب قام من القبر واقفاً على قدميه
ومشى يتخطر في البستان بمعجب وافتخار وقوة وانتصار ومن هول
المنظر سقطنا على وجوهنا ولم نعد الى رشدنا حتى لحنا القبر وقد
ابتلا من صور تسطح بضياء ساطع فاركنا الى الفرار)

ثم دخلوا المدينة اما نحن فخرجنا مسرعين وفي الطريق سألت
مریم ماذا شاهدت؟ فقالت: لما اتينا القبر وجدنا الجند سابقين كالأموات
وملاً كجالساً على الحجر بجانب القبر فحفظنا موقفنا حائرات فنادانا
قائلاً: انا اعلم انكن تطلبن يسوع فقد قام كما قال وهو ذا المكان الذي
كان الرب مضجعا فيه اسرعن الى تلاميذه وقتلن لهم ان يذهبوا
الى الجليل ليروه هناك

وما أتمت كلامها حتى وصلنا البستان وشاهدنا عن بعد نوراً
ينبعث من القبر فلما اقتربنا منه رأينا داخله ملاكين احدهما عند
الرجلين والاخر عند الرأس وبعد ان بشرانا توأرياً وعلى أثر ذلك
وصل يوحنا فتطلع في القبر ولم يدخل فرأى الاكفان مطوية وكذا
للنديل الذي كان على رأسه فامن ثم وافى بطرس ودخل القبر وخص
كل شيء بتدقيق واقتنع

فعدنا جميعاً الى المدينة لنبشر باقي التلاميذ ماعدا مريم التي
استمرت عند القبر باكية فقالت بعدئذ: انها رأت الرب ولما عدت
تمسك بقدميه قال لها: لا تلمسيني انطقي الى اخوتي وامي وبشرهم
ثم اختفى عنها

وما طرق بسماع التلاميذ هذه البشري حتى اسرعوا الى الجليل
حيث شاهدوا يسوع على شاطئ البحيرة واكلوا معه وشربوا ولما
عادوا الى اورشليم دخل عليهم والابواب مغلقة ولم يكن توما معهم
فظهر لهم مرة أخرى وهو معهم

وفي ختام الاربعين يوماً من قيامته سار بنا الى قمجبل الزيتون
وبعد ان اوصانا الانبرح من اورشليم حتى نلبس قوة من العلاء انفرد
عنا قليلاً وصعد الى السماء وعيوننا تشيعه

(م)

يسوع المصلوب (كتبت يوم الجمعة الحزينة)

اليوم وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية من رقادها العميق وتقف أمام أشباح الاجيال ناظرة بيون مغلقة بالدموع نحو جبل الجلجلة لترى يسوع الناصري معلقاً على خشبة الصليب . وعندما تيبب الشمس عن ما تبي النهار تعود الانسانية وترك مصلية أمام الاصنام المنتصبة على قمة كل رابية وفي سفح كل جبل . اليوم تقود الذكري ارواح المسيحيين من جميع أقطار العالم الى جوار اورشليم فيقفون هناك صفوفاً صفوفاً قارعين صدورهم محدقين بشبح مكلل بالاشواك باسط ذراعيه أمام اللانهاية ناظر من وراء حجاب الموت الى أعماق الحياة . ولكن لانسدل ستائر الليل على مسارح هذا النهار حتى يعود المسيحيون ويضطجعون جماعات جماعات في ظلال النسيان بين لحف الجهالة والحول . وفي مثل هذا اليوم من كل سنة يترك الفلاسفة كهوفهم المظلمة والمفكرون صوامعهم الباردة والشعراء اوديتهم الخيالية ويقفون جميعهم على جبل عال صامتين متبئين مصفين الى فتى يقول لقاتله (يا ابتاه اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يفعلون) ولكن لا تكشف السكينة أصوات النور حتى يعود الفلاسفة والمفكرون والشعراء ويكفنون ارواحهم بصفحات الكتب البالية . ان النساء المشغولات

بهبجة الحياة المشغولات بالحلى والحلل يخرجن اليوم من منازلهن يشاهدن المرأة الحزينة الواقنة أمام الصليب وقوف الشجرة اللينة امام عواصف الشتاء ويقتربن منها ليسمن أنينها العميق وغصاتها الاليمية

اما الفتيان والصبايا الراكضون مع تيار الايام الى حيث لا يدرون فيقفون اليوم هنيهة ويلتفتون الى الوراء ليروا الصبية المجدلية تغسل بدموعها قطرات الدماء عن قدمي رجل منتصب بين الارض والسماء . ولكن عندما تغل عيونهم النظر الى هذا المشهد يتحولون مسرعين ضاحكين

وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية يقظة الربيع وتقف باكية لاوجاع الناصري ثم تطبق اجفانها وتنام نوماً عميقاً اما الربيع فيظل مستيقظاً مبتسماً سائراً حتى يصير صيفاً مذهب الملايس معطر الاذيال . الانسانية طفلة تقف متأوهة بجانب الطائر الذي يح ولكنها تحشى الوقوف امام العاصفة الهائلة التي تعصر بيسرها الاغصان اليابسة وتجرف بعزمها الاقدار المنتنة . الانسانية ترى يسوع الناصري مولوداً كالفقراء عائشاً كالساكنين مهاناً كالضعفاء مصلوباً كالمجرمين فتبكي وترثيه وتدبه وهذا كل ما تفعله لتكريمه .

منذ تسعة عشر جيلاً والبشر يعبدون الضعف بشخص يسوع . ويسوع كان قوياً ولكنهم لا يفهمون معنى القوة الحقيقية . ما عاش يسوع مسكيناً خائفاً ولم يمت شاكياً متوجعاً بل عاش نائراً وصلب

متمرداً ومات جباراً . لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان عاصفة هوجاء تكسر نهوبها جميع الاجنحة المعوجة .
 لم يحيي يسوع من وراء الشفق الازرق ليجعل الالم رمزاً للحياة بل جاء ليجعل الحياة رمزاً للحق والحرية . لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش اعداءه ولم يتوجع امام قاتليه بل كان حرماً على رؤوس الاشهاد جريئاً امام الظلم والاستبداد يرى البثور الكريهة فيضعها ويسمع الشر متكلماً فيخرسه ويلتقي بالرياء فيصرعه . لم يهبط يسوع من دائرة النور الاعلى ليهدم المنازل ويبني من حجارها الاديرة والصوامع ويستهدي الرجال الاشداء ليقودهم قسوساً ورهباناً بل جاء ليث في فضاء هذا العالم روحاً جديدة قوية تقوض قوائم العروش المرفوعة على الجماجم وتهدم القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الاصنام المنصوبة على احياء الضعفاء المساكين لم يحيي يسوع ليعلم الناس بناء الكنائس الشاهقة والمعابد الضخمة في جوار الاكواخ الحقيرة والمنازل الباردة المظلمة . بل جاء ليجعل قلب الانسان هيكلًا وقسه مذبحاً وعقله كاهناً هذا ما صنعه يسوع الناصري وهذه هي المبادئ التي صلب لاجلها مختاراً ولو عقل البشر لوقفوا اليوم فرحين متهللين منشدين اهازيج الغلبة والاتصار .

وانت ايها المصلوب الجبار الناظر من اعالي الجلجلة الى مواكب الاجيال السامع ضجيج الامم الفاعم احلام الابدية انت على

خشبة الصليب المضرجة بالدماء اكثر جلالاً ومهابة من الف ملك على الف عرش في الف مملكة ، بل انت بين النزاع والموت اشد هولاً وبطشاً من الف قائد في الف جيش في الف معركة .
 انت بكآبتك اشد فرحاً من الربيع بازهاره انت باوجاعك اهدأ بالآ من الملائكة بسماها . وانت بين الجلادين اكثر حرية من نور الشمس . ان اكليل الشوك على رأسك هو أجل واجمل من تاج بهرام والمسار في كفك اسمي وانغم من صولجان المشتري . وقطرات الدماء على قدميك اسمي لمعانا من قلائد عشائروت . فسامح هؤلاء الضعفاء الذين ينوحون عليك لانهم لا يدرون كيف ينوحون على نفوسهم واغفر لهم لانهم لا يعلمون بانك صدعت الموت بالموت ووهبت للحياة لمن في القبور
 عن كتاب (المواصف)

ومن هذا الكتاب من مقالة عنوانها (نحن وانتم) — نحن ابناء الكآبة . وانتم ابناء المسرات)

(قد صليتم الناصري ووقفتم حوله تسخرون به وتجدفون عليه . ولكن لما انقضت تلك الساعة فنزل عن صليبه وسار كالجبار يتغلب على الاجيال بالروح والحق ويملا الارض بمجده وجماله . وقد سمعتم سقراط ورجم بولس « اسطفا نوس » وسجنتم غليلو . وهؤلاء يحيون الآن كالأبطال الظافرين امام وجه الابدية .